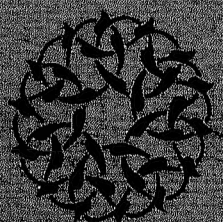


رجال الدين

الامام ابو القاسم البجلي
القدس المثلث الهوى



تقديم
من علي بن عبد القادر

بمعرضي القاهرة

رسائل الجنيح

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

© ١٩٨٨

حقوق النشر محفوظة

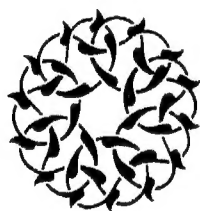
برعي وجداي ، القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٨٨/١٧٩٥

ISBN ٩٧٧ - ١٧٠٠ - ٠٠٦

رجال الجند

للأستاذ أبو القاسم الجند
القرن الثالث الهجري



تتقيق
د. علي حسن جند القادري

بوجوده بالقاءة

خطوط : مصطفى مفتاح
مراجعة : أحمد سلطان

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض اخوانه	١
رسالة أبي القاسم الجنيد بن محمد إلى يحيى بن معاذ الرازي	٢
رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض اخوانه	٣
كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي	٧
كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي	٢٥
كتاب الفناء	٣١
كتاب الميثاق	٤١
في الألوهية	٤٧
في الفرق بين الصدق والاحلاص	٥١
في التوحيد	٥٧
أدب المفتقر إلى الله	٦٥
كتاب دواء التفريط	٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه الرسائل الصوفية للإمام الجنيد بن محمد ، إمام هذه الطائفة في زمانه ، هي الرسائل التي يتطلع العلماء والباحثون في التصوف إلى كشفها ، وقد بقيت مكتومة طيلة هذه القرون منذ القرن الثالث الهجري . ففي هذا القرن لم يكن للتصوف كتب تحدد مبادئه وتشرح أصوله ، في الوقت الذي كان للمعارف الاسلامية من العلوم الأخرى دراسات معروفة وكتب منشورة ، ولكن التصوف كانت مبادئه غير معروفة ولا تزال أقرب إلى الإلحاد والزندقة غير مقبولة عند الناس ، وهذا ما جعل الجنيد وأغلب رفاقه لا يسجلون أفكارهم وآرائهم وابقاءها من الأسرار ، اكتفاء بتبليغها للمريدين عن طريق التلقى .

ويعتبر الجنيد عند علماء التصوف سيد هذه الطائفة ، ومقدم هذه الجماعة ، وإمام هذه الخرقه ، وشيخ طريقة التصوف ، وعلم الأولياء في زمانه وبهلوان العارفين - كما يصرح بذلك السبكي في طبقاته^(١) (جزء واحد ص ٢٨٠) ويقول عنه جعفر الخلدي من تلامذته : (لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد ، إذا رأيت علمه رجحته على حاله وإذا رأيت حاله رجحته على علمه) ويقول : (قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لي فيه حظا ونصيبا) ، وقال أبو القاسم الكعبي المتكلم المعتزلي : (مارأت عيناى مثله ، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة لدقة معانيه ، والمتكلمون لعلمه .)

وإذا كان الجنيد في الحقيقة هو أبو التصوف الإسلامي ، فعلينا أن نرجع إلى هذه الرسائل التي تحوى آراءه ، لنعرف فضله ، وأهم الأفكار الصوفية عنده ، ونتبين السر في بقائها مجهولة عن الناس . والسبب الأول في إخفائها هو خطورة هذه الآراء المخالفة لإجماع أهل الرأي وعدم إستقامتها عندهم .

والسبب الآخر ، هو عدم ثقته فى إذاعتها بين الناس ؛ فكان يحدد جماعته الذين يفضى إليهم بها ولا يجرى على تعريفها للناس ، حتى قيل إنه عند موته طلب من تلامذته أن يدفنوا الأوراق . والسبب الأهم ، هو أن هذه الحقائق لا تسعفها الكلمات والعبارات التى يعتبرها غير كافية لتوصيل هذه الأشارات والتجارب الروحية ، حتى قيل إن كثيرا من الناس لم يفهموها منهم ابن عربى الذى صرح أنه لم يفهم أقواله .

وقد عقد أبو النصر السراج فى كتاب اللمع فصولا عن الشيوخ الذين رُموا بالكفر والزندقة والبدع وأعتقدَ فيهم الباطل ، وعدَّ السراج جملة من كبار هؤلاء الشيوخ أمثال عمرو بن عثمان المكى وأبو العباس أحمد بن عطا وختم ذلك بقوله « وكذلك الجنيد مع كثرة علمه ، وتبحره وفهمه ، ومواظبته على الأوراد والعبادات ، وفضله على أهل زمانه بالفهم والعلم والدين ، حتى قيل له طاووس العلماء ، فكم مرة قد طُلب وأُخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة . » ، وشرح ذلك يطول ، وإنما أرادنا أن نذكر ذلك حتى لا يتعقب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقية فى هذه العصابة .

ثم كانت المحنة التى أصابت هؤلاء الشيوخ ببغداد وهى محنة « غلام الخليل » التى اتُّهموا فيها وحوكموا أمام الخليفة الواصل .

ويكفى أن ننوه بما لقيه الحلاج تلميذ الجنيد من قتله وصلبه من أجل ما أباحه من الأسرار . فضلا عما جرّته آراؤهم فى الوجود الربانى والوجود الانسانى إلى آراء أهل الاباحة الذين استباحوا الحرمات وأهملوا الأحكام الشرعية عن طريق فقدهم وعدم وجودهم حتى لا تجرى عليهم الأحكام . فلا غروا أن يكون ذلك كله أدعى لاختفاء آرائهم وأسرارهم عن العامة .

أما بالنسبة للدراسات الغربية فى هذا الشأن فقد بقى الجنيد دائما لغزا غامضا . لقد كشفت الطرق التى استعملت فى تحليل تطور الفكر الصوفى

عن فجوة في تطور التصوف ، بداية من جوبينو Gobineau حتى هورتن Horten (١٨٧٤ — ١٩٤٥) . وجاء جولدزيهر Goldziher (١٨٥٠ — ١٩٢١) الذي حلل التغيير من الزهد الى التصوف . ولكن الفجوة من التصوف البسيط والتصوف الكامل للقرن الثالث بقيت من غير مادة كاملة لتفسيرها . وعندما كتب ثولوك Tholuck دراسته الوافية عن التصوف ، قدّر إلى حد بعيد الدور الذي قام به الجنيد ، ورأى أن الجنيد إنتهى أمره إلى وحدة الوجود ، وتبعه في ذلك دوزي Dozy (١٨٢٠ — ١٨٨٣) . وفي سنة ١٨٦٨ شرح فون كريمر Von Kremer (١٨٨٩ — ١٨٢٨) نمو التصوف واعترف بأهمية الجنيد ، على الأقل أستاذًا للعلاج .

وترك الأمر أخيرا إلى كرمسكى Krimsky (١٨٧١ — ١٩٤١) في سنة ١٨٩٥ الذي أوجز الدراسات الغربية للتصوف ، وقدم خلاصة عن الأدب التركي والفارسي والعربي في التصوف ، ثم قدّم تحليلا عن تطور التصوف إلى نهاية القرن الثالث ، وأبرز فكرة الكتمان في الدور الذي قام به الجنيد ، وما قدمه الجنيد في تعاليمه ودراسته للتصوف الذي وصل به إلى طريقة دينية .

وهذه المرحلة لم تُكشف لفقد المبادئ العملية للجنيد . وإبراز هذه الرسائل يكشف — ليس فقط — طبيعة ومبادئ الجنيد ولكن تطور التصوف إلى طريقة ، لأول مرة . لكن الرسائل وجهت إلى الخاصة في لغة غامضة ، فيصعب عليه فهمها بسهولة .

وأخيرا وصل هارتمان Hartman (١٨٥١ — ١٩١٨) في كتابه عن القشيري إلى أن الجنيد هو الذي أسلم التصوف (جعله إسلامياً) وشكل مبادئ الاصلية ، واعترف بالجنيد مفكرا أصيلا وأنه الحلقة المفقودة في تطور التصوف ، وأنه في الحقيقة هو منشئ التصوف الإسلامي .

والواقع أنه لم يكن أمراً سهلاً للصوفية أن يوفقوا بين نظرياتهم وبين تعاليم الإسلام ، بين فكرة التجريد والتفريد للألوهية وإثبات وجود خارجي فيما وراء هذا العالم ، وبين فكرة أن الألوهية حالة في كل شيء وإثبات وجود حقيقي واحد هو كل موجود ، هذه الفكرة التي تنتهي إلى فكرة وحدة الوجود والحلول ، ثم مايتبع هذا من أنه إذا كان هناك وجود واحد ، وأنه ليس هناك عبد ومعبود ، فهل يمكن الحديث عن واجبات وحقوق شرعية لمن لا وجود له ، وكما قالوا : إن العبد اذا وصل صار حراً ، وإذا صار حراً سقطت عنه العبودية ، وهي فكرة أهل الإباحة .

فكيف استطاع الجنيّد وسط هذه التيارات المختلفة أن يحقق التوفيق بين التصوف وتعاليم الإسلام ، وكيف استطاع أن يفلت مما لم يفلت منه غيره أمثال الحلاج وأبى يزيد البسطامي أو أهل الإباحة أمثال رباح وكنيب ؟

والحق أن العلماء وأدباء الصوفية قد قبلوا الجنيّد وأثنوا عليه وقدروا فضله وأدبه واستقامة تفكيره ، ورفضه لانحرافات أهل الفرق ومجادلات أهل الكلام ، الذين عرفوا بمناهضة أهل التصوف كابن تيمية وابن القيم ، ولكن هؤلاء جميعاً إنما عرفوه من المقتطفات المتناثرة من أقواله ومن رسائله الأخلاقية ومن سيرته الطيبة ، أما مبادئه وأفكاره فقد بقيت مكتومة ، كما أن فهم عباراته بقيت غامضة غير واضحة .

ومؤلف هذه الرسائل هو أبو القاسم الجنيّد بن محمد بن الجنيّد الخراز القواريري ، ولد ونشأ في بغداد ، وهو من أصل فارسي ، نزحت عائلته إليها من نهاوند بالجهال ، وأنه ولو أن تاريخ ميلاده لم يحدده المؤرخون ، إلا أن أحداث حياته ولقاءاته مع شيوخ عصره ترجح أنه ولد حوالي سنة ٢١٠ هـ . وقد رباه خاله السري السقّطي بعد وفاة والده ، وكان بيت السقّطي يجمع شيوخ الصوفية حوله وفي مجالسه للحديث والمذاكرة ، وكان الجنيّد يحضر هذا الحديث ، وتفقه على مذهب أبي ثور ، ولم يدخل

فى علوم الكلام ، وقد زامل كثيراً من علماء عصره والمتصوفة أمثال المحاسبى والذرى ، وأبى سعيد الخراز وغيرهم من هؤلاء الأعلام ، كما كان من تلامذته أمثال الشبللى والحلاج وغيرهم ، وتوفى ببغداد سنة ٢٩٨ هـ .

وكان الموضوع الأول الذى يشغل أهل الفكر والعلم فى القرن الثالث الهجرى هو « التوحيد وعلاقة الإنسان بالله » فكان هناك المعتزلة (أهل العدل والتوحيد) الذين يعتمدون على العقل فى ذلك ، وكان هناك الصوفية (أرباب التوحيد) الذين يعتمدون على القلب والمجاهدات فى توحيد الله ، يقول ابن الكاتب « المعتزلة نزهاوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا ، والصوفية نزهاوه من حيث العلم فأصابوا »^(٢) وهكذا عالج الجنيد طريقته بالفناء فى درجاته المختلفة ، حتى يفنى العبد عن نفسه ولا يبقى إلا الله ، يقول فى إحدى رسائله :

« والوجه الثانى من توحيد الخاص ، فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث تجرى عليه تصارييف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته ، فى لجج بحار نوحيده ، بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الحق له وعن استجابته به ، .. والعلم فى ذلك أنه رجع العبد إلى أوله ، أن يكون كما كان ، إذ كان قبل أن يكون ، والدليل فى ذلك قول الله عز وجل « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألسن بربكم ، قالوا : بلى . فمن كان وكيف كان قبل أن يكون وهذا غاية توحيد الموحّد للواحد بذهاب هو »^(٣) .

ولما كان فناء الموحّد عن وجوده فى وجود الحق قد يؤدى إلى مثل مقالة الحلول أو الاتحاد ، فقد صحح الجنيد هذا الفناء فى الله بروجع الموحّد إلى البقاء بعد الفناء والحضور بعد الغيبة ، وهو المقام الذى يعبر عنه « بالصحو »

فيرجع الموحد إلى وجوده مع بقاء فناءه في آله ، فهو فان باق ، بمعنى خروج العبد من إرادته ودخوله في إرادة الحق ، كما عبر عنه بقوله :

« أولئك هم الموجودون ، الفانون في حال فنائهم ، الباقون في حال بقائهم ... ومن حقيقة الوجود ، وقع في حقيقة الشهود ، بذهابه عن وجوده ، وبتفقد وجوده صفا وجوده ، وبصفائه غيب عن صفاته ، ومن غيبته حضر بكليته ، فكان موجودا مفقودا ، ومفقودا موجودا ، فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان ، ثم بعد ما لم يكن حيث كان كان ، فهو هو بعدما لم يكن هو ، فهو موجود موجود بعد ما كان موجودا مفقودا ، لأنه خرج من سكون الغلبة إلى بيان الصحو ، وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها ، لاستدراك صفاته ، ببقاء آثاره والاقتداء بفعله بعد بلوغه غاية ماله منه »^(٤) .

وبهذا الأصل الذى شرحه الجنيد وهو الصحو بعد الغلبة والحضور بعد الغيبة ، استقامت للمذهب الصوفى معالمه الشرعية وتفادى مقالة الحلول والاتحاد ، كما تفادى حماقة أهل الإباحة أمثال رباح القيسى وكليب الذين « زعموا أن حب آله وقع على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم ، فإذا كان كذلك عندهم وكانوا عنده بهذه المنزلة وقعت عليهم الخلطة من آله ، فجعل لهم السرقة والزنا والخمر والفواحش كلها على وجه الخلطة التى بينهم وبين آله ، لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلطة ، كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه »^(٥) وتفادى الصوفية غير ذلك من المغالطات المعروفة .

كان هذا فضل الجنيد الذى لا يقيناه فيما كتبه من رسائل حتى استحق أن يسمى « أبو التصوف الاسلامى » وإمام هذه الطريقة القويمة .

وهذه الرسائل التى بين أيدينا هى المخطوطة الوحيدة فى استانبول (شاهد

على ٣٧٤ رقم ١٣١٤) وقد كتبت بيد واحدة بخط اسماعيل بن شودكين المتوفى فى القرن السابع سنة ٦٤٦ هـ وهو تلميذ ابن عربى الصوفى المعروف . وقد نشرتها فى دراستى للجنيذ لأول مرة فى مجموعة جبّ وترجمتها الى الانجليزية فى لندن .

Ali Abdel Kader. "The Life, Personality and Writing of Al-Junayd. Gibb Memorial Series, New Series 22, 1962 وذلك فيما عدا الرسالة الأخيرة (كتاب دواء التفريط) وهى مخطوطة برمنجهام بانجلترا ، ولم نثر على مخطوطة أخرى لها .

Mingane Arabic Collection. (Silly Oak Library, No. 905 Folios 109-119.)

وقد وجدنا الجزء الأول منها فى كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني (الجزء السابع ص ٢٧١ - ٢٧٣) وقارناها بها فى هذا الجزء ، وهى تمثل كغيرها من الرسائل الأولى اسلوب الجنيذ وعمق تفكيره ، فى حدود الاعتدال والصدق المقصود من أمثال هذه الرسائل .

وبالله التوفيق

على حسن عبد القادر

(١) صحف من كتاب اللمع لأبى نصر السراج ، لندن سنة ١٩٤٧ . ص ٧ - ١٢ .

(٢) رسالة القشيري ، طبعت ١٩٦٦ ح ١ ص ١٥٨ .

(٣) رسائل الجنيذ ، ص ٦١ - ٦٢

(٤) رسائل الجنيذ ، ص ٤٣ - ٥٨

(٥) Louis Massignon, Recueil de textes inédits, p. 7

الرسائل

رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض اخوانه

رسالة أبي القاسم الجنيد بن محمد إلى يحيى بن معاذ الرازي

رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض اخوانه

كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي

كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي

كتاب الفناء

كتاب الميثاق

في الألوهية

في الفرق بين الصدق والاخلاص

في التوحيد

أدب المفتقر إلى الله

كتاب دواء التفريط

رسالة لأبي القاسم الجينيذ إلى بعض إخوانه

رسالة أبي القاسم الجينيذ
إلى يحيى بن محمد الدوازي

رسالة لأبي القاسم الجينيذ إلى بعض إخوانه

* رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

صفا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك . وأخلصك بما خصَّك به
وحباك . وكشف لك عن حقيقة ما به بذاك . وآثرك بما استأثر به عمن
سواك . وقربك في الزلفى لديه وأدناك . وبسطك بالتأيس في محل قربه
وناجاك . وانتجبك بجميل أمره وصافاك . وأيدك في عظيم تلك المواطن وقريب
تلك الأماكن بالقوة والتمكين والهدوء والدعة والتسكين ؛ لئلا تقوى عليك
البدائة الواردة والأنباء الغريبة القاصدة .

فيلزمك لقوة ذلك عليك في ابتداء خلوصه ، إيهات النهل لما لا يجد لما
لا يقال منه محتمل ، فكيف يحتمل ذلك أو تقف العقول بضبط ماهنالك ، إن لم
يمسكها بالكلاية ويكنف سرائرهما بالرعاية .

فأين أنت وقد أقبل بك كلُّك عليه ، وأقبل بما يريده منك لديه ؛ وقد بسط
لك في استماع الخطاب وبسطك إلى ردّ الجواب ؛ فأنت حينئذ يقال لك وأنت
قاتل ، وأنت مسؤول عن « أنبائك وأنت مُسائل ، في درر الفرائد^(١) وترادف
الشواهد بدوام الزوائد واتصال الفوائد ، تهطل بعز من المجيد عليك من كل
جانب ، فلولاً لإحلاله عليك النعمة وتمسيكه لقلبك بالسكينة ؛ لذهلت عند
كون ذلك القلوب ، وتمزقت عند حضوره العقول .

لكنه جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه ، جاد بالفضل على من أخلصه ، وعاد
بالعطف على من اصطنعه ؛ فحمل عنهم ما تحمّل إياه ، وحلوا ما أراذه لهم
وتفضل به من إدراكهم له ؛ جعلنا الله وإياك من أقرب أوليائه^(٢) لديه منزلاً .
إن ربى سميع قريب .

رسالة أبي القاسم الجنيد بن محمد إلى يحيى بن معاذ الرازي رحمة الله عليهما

لا غبت بك عن شاهدك ، ولا غاب شاهدك بك عنك ، ولا حلت بتحويلك عن حالك ، ولا حال حالك بتحويله عنك ، ولا بنت عن حقيقة أنبائك ، ولا بانث أنباؤك بغيبة الأنباء منك . ولا زلت في الأزل شاهد الأزل في أزليتك ، ولا زال الأزل يكون لك مؤيدا لما زال منك ، فكنت بحيث كنت كما لم تكن ثم كنت ، بفردانيتك متوحدا ، وبوحدانيتك مؤيدا ، بلا شاهد من الشواهد يشهدك . ولا غبت لدى^(٣) الغيب من الغيب بغيبتك ، فأين مالا أين لأينه ، إذ مؤين الأينات مبيد^(٤) لما أئنة^(٥) وإذ الإبادة مباداة في تأيد مبيد الإبادات ، وإذ^(٦) الاجتماع فيما تفرق ، والتفريق فيما جمع ، فرق في جمع جمعه ، وإذ الجمع بالجمع للجمع جمع فيما جمعه .

(ب/٣٣)٠

*رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

لازلت أياها الموجود بباب الله راتباً ، وبه منه إليه لما يحبه منك طالباً ، وله في آلائه وغريب أنبائه راغباً ، فحبك به عليه فيما يحبه لك ويبلغك اليه ، باصطفائه إلى ما يريده منك ، ليصطفيك فيما يولييك بما ينتخبه لك ويحببك ، ثم يبديك فيما يولييك ، ويخفيك في عزيز ما يبديك ، اعلاء لك عند مصادفة النواظر لحقيقتك ، وضن بك عن معرفة القلوب لمكانتك ، وضم لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلتك .

فكنت عند ذلك بحيث أَرُمُسُ المكان مكوّنه ، وطمس الدلائل عليه من وهم متوهمه ، فكنت فيما هنالك بغيب لغيب ، انتفت عن حقائقه الشكوك والرَّيْبَ ، كما أن الحقائق بحق اليقين تُعَلِّمُ ، وملاحظة^(٧) العيان لها محتجبة لا تتوهم ، ومن وراء ذلك توحيد الموحد وربانية الألوهية المتفرد على أولية أزلية وبقاء سرمد الأبدية ، وهنالك ضلت مقاليد الفهماء ، ووقفت علوم العلماء ، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء ، وهذه غاية لما هذا نعته وسنا ذروه ، وانتهت^(٨) الصفة إلى صفته ؛ ومن وراء ذلك برزخ إلى يوم يبعثون .

وإذا بُعِثَ الخلقُ بعد انقضاء مدة برزخهم وأحيوا^(٩) لحقيقة البعث بعد ميّتهم ، عرفوا إحياء الحي لمن أحياه ، وتركه في سرمد البقاء لمن أبقاه ، وفيما أشرت به من ذلك شرح يطول وصفه ، ولا يحتمل الكتاب نعته على كنهه .

يا أخى رضى الله عنك ، وصل كتابك السار ظاهره وباطنه وأوله وآخره ، وسررت بما ضمنته من علم غريب وحكم عزيزة وإشارات واضحة منيرة ، ولم يخف عليّ ما عرضت به مع ما صرحت به ، وكل ذلك على علمي به وسبقي إلى فهم ما قصدت له بيّن عندي ؛ * إلى أين موثله ، وإلى أين نهايته ومصدره ،^(١٠) ومن أين أوله وآخره ، وكيف على من جرى الحكم به ؛

لا عدمتُ استعصامكَ به منه ، وقيام عصمتك به له ، غلبت غوالب القاهرة ، وبدهت بواده باهرة ، أودت بقوة سلطانها ، تقاوم سلطانها بالتقاهر فيما قام منها ، ثم حمل بعضها على بعض ، فركضت متوارية ، وهى فى الحقيقة بالقوة متظاهرة ، تحكمت بمنيع عز التواصل ، بلا أين ولا إلى أين متكون بكنه نهاية ، ولا هواء^(١٠) إلى مواضع^(١١) محدودة ، فتعرف لها غاية ، إبادة إبادة مستظلمة ، وسطوتها للكل منتظمة .

هيه ثم ماذا بعد ذلك ، نصبهم غرضا للبلاء ، وعرضهم للحنّ والجلاء ، وأنفذ عليهم المكاره بماضى القضاء ، وجرعهم الموت صرفا ، وأجرى عليهم بقدرته ما يشاء ، فمن بين متانع مستعصم مغلوب ، ومن بين مستسلم مسلوب ، فلا كان^(١٢) المستسلم فيها باستسلامه ناجيا ، ولا المتانع بالاستعصام من طلبها خارجا ، حُبِسَتْ أنفاسهم فى أنفاسهم ، فهم على فرط البلاء كاظمون^(١٣) ، وتغصصوا بتجرُّع المر المتلف ، فهم على التلف مشرفون ، فلو أطلقت الأرواح أن تفيض لكان فى ذلك راحتها ، لكنه فى الموت ألم مذاق الموت حابسها ، لا يأملون بعد الموت فرجا ، ولا لهم قبل الموت من فرط البلاء مخرج^(١٤) .

يا أخى هؤلاء قوم هذه بعض صفاتهم ، وكرهت الإطالة عليك فى نعت حالهم ، وسمع سامعون ببعض نعت ما بلغ القوم إليه ، وما القوم من حقائق ذلك كائنون^(١٥) لديه ، فسموا بالهموم انتهاء الى مطالبته ، قبل النزول بالكون فى محض حقيقته . وشبه عليهم فيه كائنات المحظى^(١٦) ، وخفى عليهم المعزز^(١٧) من كون التولّى ، وجرت عليهم* أحكام أولئك فى أحكامهم ، واستمر مترادف الزلل على مضى أيامهم ، وكان عندهم أنهم أولئك وليسوا بأولئك ، وقوى عليهم موهم حالهم أنهم فيما هنالك . هيهات هيهات ما أبعد من ذلك مناهم ، وما أعظم مايجرى عليهم من الخلل فى توهم حالهم ، أعاذنا الله وإياك يا أخى من كل حال لا تكون لمحض الحقيقة متصادفة ، ولا تكون لما أحكمه الحق مؤالفة .

(ب/٣٤) .

ومع ماذكرته من هذه الحال وما فيها ، فهي واسطة بين حالين ، والذي جرى منها فرق إذا انكشفت بين منزلتين ، وليس مراد الحق بها هي بعينها ، لكن ذلك على صحة كونه ليكشف بها ما وراءها . وعلم الأكابر ومنازل العظماء وأماكن الحكماء وصريح حقيقة فهم الفهماء بعد عبور ذلك وتجاوزه إلى ما لو سنعح سأنح لتعبيره وجرى الحكم ببعض وصف تفسيره ، لـ « نَحْشَعْتُ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ نَحَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا » (١٨) .

يا أخى لا عدمت إشارتك بالحق على ما بَسَطَ الحق إليك (١٩) ، وقرت عيني فيك ببلوغ النهاية إلى ما أطلعك (٢٠) الحق عليه . أنت بعض أناسي ، وشركاء رغبتى وكبير من كبراء إخوانى وَخِلُّ من أخلاء قلبى بخالص محبتى . أَلَسْتُ أَحَد من بقى من كبراء إخواننا وأحد المشار إليهم من أبناء جنسنا ، وَمِنْ عَظْمَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا فِيهِ فِيمَا وَهَبَ لَنَا مِنْهُ .

لا تدع يا أخى متفضلاً متطولاً محسناً مكاتبتنا ومواصلتنا نستريح عند ذلك إلى طيب خبرك ونتفرج ببقاء أثرك ونبتهج بعظم ما وهبه الله لك ، فإن كان ذلك عندك مما نستحقه فعلته ، وإلا جعلت ذلك تطوعاً منك علينا وامتناناً يصل منك إلينا ، وعليك سلام الله ورحمته وعلى جميع إخواننا .

الكهوا مشر

- | | |
|--------------------------------------------------------|---------------------|
| (١١) م : مواضع . | (١) م : الفوائد . |
| (١٢) مخدوفة من المخطوطة . | (٢) م : أولياه . |
| (١٣) م : كاظمين . | (٣) م : لدا . |
| (١٤) م : مخرجا . | (٤) م : مييدا . |
| (١٥) م : كائنين . | (٥) م : أينته . |
| (١٦) م : المخطى . | (٦) م : واذا . |
| (١٧) م : المعزر . | (٧) م : وملاحظة . |
| (١٨) سورة طه : آية ١١٠ . وصحتها : «وعنت الوجوه...» . | (٨) م : انتهت . |
| (١٩) م : لإليه . | (٩) م : واحدا . |
| (٢٠) م : اطلع . | (١٠) م : ولاه . |

كتاب الجند إلى
عمرو بن عثمان الهذلي
وحمد الله تعالى

نسخة كتاب الجنيد الى عمرو بن عثمان المكي رحمهما الله تعالى

١٢٥٠/ (١) * أُوتِيَتْ من العلم والحكمة أعلى منازل ؛ وتَنَاهَيْتَ من الرسوخ في المعرفة إلى غاية أماكنها ، وأُذِنَتْ في مجالس القرب إلى أزلف مواطنها ؛ وَتُبِّوْا بك من كمال جوامع الأنبياء إلى استيعاب معالمها ، فجرى ذلك لك بالتمكين وأنت مستبصر ؛ وعلوت في سمو انتباهه مشرفاً مستظهِراً . قد تضمنته بقوة الاشتغال عليه فأفضى^(١) إليك ؛ واستغنيت عن السعاية إليه بمنيع صولة التمكن ، لأنك^(٢) لذلك كله بواضح الحق مستبين ؛ ولأنك فيما اُخْتَلِفَ فيه من العلم على صحة اليقين .

وجعلك الله مع ذلك ممن سعد به إخوانه ، ونالوا البُغْيَةَ من العلم بوصفه وبيانه ، وانكشفت لهم الحقائق المشفية من تعبير لسانه ، وأنس منهم من غاب أو حضر بشرف مكانه .

بل جعلك الله نوراً يملأ بسنا ضيائه الخافقين ويلوح مضيئاً طالعا على سائر الثقلين ؛ فينال عند ذلك كل فريق منهم حظه الكامل ويصل إلى مراده الشامل الفاضل ، حتى تكون هذه الظواهر أموره التي ألبسها وبوادي أحواله التي أريد بها ، وقد نظر فيها فوفقت به الضئنه عن ظهوره ، وتضمنته الصَّوْنُ والحُجْبَةُ والكم عن حضوره .

وذلك سر تضل العقول عن الإشارة إليه ؛ وتنقطع الفهوم عن شيء من الورود عليه ، هيئات هيئات طمست عن ذلك أطواق كوامل العلماء ، وضلت عنه مقاليد أكابر الفهماء . فهو في تفرد توحيده عليّ ، ويعزل قيومته تجرده . فكم من مومئ إليه بتوهمه ، ومن مظهر التحقق^(٣) به بالطيب عنده أن يعرض لينطق به ، تلجلج لسانه وتخير عند الإيماء به إلى بيانه . ويظنُّ الجاهل إذا

سمعه أنه قد أصاب وهو في عمياء مظلمة عند الخطاب ، يكون في دعواه
وحقيقة الحق تدفعه ، ويوهم بوصفه السامع* في القصد إلى مايقع الفهم به في
النفاذ فيما أمر به ، والترك لما نهى عنه .

وذلك بعض حق العلم على من حمله ، فمتى اقتضيت لنفسك ، يقع العلم
لها قبل إعطائك منها حق ما للعلم . واجب احتجب عنك نفعه ونوره وبقي
عليك رسمه وظهوره ، وذلك حجة للعلم عليك وإن كان رسمه ظاهراً^(٤)
لديك .

فاحذر أيها الرجل الذى قد لبس من العلم ظاهر حليته ، وأوماً المشيرون إليه
بجميل لبسته وقصر عن العلم بمحض حقيقة ، ما وقعت به الإشارة إليك
وانبسطت به الألسن من الشناء عليك فإن ذلك حتف لمن هذه الصفة صفته ،
وحجة من الله تعالى عليه في عاقبته .

فلما سمع العالم من الحكيم مانطق به ، وقرع سمعه بيان ما شرحه له ، أطرق
مفكراً ثم انتحب بعد الفكرة باكياً ، فطال بكأؤه وعلا نحيبه واشتد اضطرابه ،
فأقبل عليه عند ذلك الحكيم فقال له : الآن حين بدت شمس الحكمة تطلع عليك
وواضح نورها يصل إليك ، وعند ذلك تنجلي عنك ظلمات ما أعرضت عنه
من علمك ، وأغفلته من موانع العلل لفهمك ، وإني أؤمل بذلك صلاح ما
أفسدته والتلافي لحفظ ماضيعته .

فلما سمع العالم إقبال الحكيم عليه بذلك ، سكن من اضطرابه وهذا من شدة
بكائه ، ثم أقبل على الحكيم فقال : زدنى من دوائك هذا فقد لاؤم جراحى ،
وقويت الأطماع فى الوقوع لحجتي ، فتخلصنى بلطف حيلتك ورفق
حكمتك من وبال ما أنت أعلم بما كُمن منه فى سرى ، واستتر عني من خفي
هوى الشر ، فقد انطوى عني فى سالف الأوقات الماضية خفي مستبطنات
كانت فى السرائر كامنه وكشفت لى عنها بجميل نعتك وأوقفتنى على ما بطن منها
بلطف رفقك .

١٣٦.

قال له الحكيم : تحمد الله أبداً فيما أنعم به عليك من اطلاعه إياك * على ذلك وإيقافه لك على مواضع خللك ، فكن بالذل بين يديه خاضعا ، وافتقر إليه بالاستكانة والخضوع ضارعا ، فإنك لا تخفى مناجاتك له سامعا ، وإنك إذا كنت كذلك كان لك إليه شافعا ؛ وأعلم مع ذلك أن ألسنة الحكمة لا تنطق إلا من بعد أن يؤذن لها ، وإذا نطقت وقع النفع لمن أسمع بها ، وإنما مثل ذلك من فضل الله على خلقه ، مثل غيث سمائه الذي إذا أنزله وأحيا^(٥) به ميت أرضه أما سمعت الله تعالى يقول « فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لُمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(٦) وكذلك يحيي الله تعالى بألسنة الحكمة ما أ مات الإعراض عنه من قلوب أهل الغفلة .

قال العالم للحكيم : أجل إن الذي وصفته كما وصفته ، وإنى أومل من الذي انتدبتني بلسان حكمتك وجاد عليّ تعطف رحمتك ، أن تستقذني من وبال التقصير بدلائلك ، وتخرجني من ذلة التخلف بمصادفة رؤيتك .

وقد علمت الآن أن أرى إلى الكشف لي عما لزم من وبال تركي للعمل بعلمي وتخليفي عما أوجبه حق العلم عليّ ، وعما استتر في نفسي وانطوى بالاستخفاء في سرى ما لم أكن له مدركا ولا بما معي من العلم عليه واقفا ، وقد أشرقت الآن بقدر ما أيدي الله تعالى به منك ومنّ لي عليّ ، وكشفه لي بأسبابك على بعض ذلك ، فبعلمي بالقليل من ذلك علمت أن عليّ منه كثيرا لم أدركه ، وتخفيّ مستبطنات لم أراه ولم أعرفه .

فاكشف لي أيها الحكيم من أمرى عما أنت أعلم به مني ، فإن الطبيب أعلم بداء السقيم من نفسه ، وأحق أن يصف له من الدواء ما يكون سببا لبرئه^(٧)

قال الحكيم : قد بدت مطالعات الفهم تلحقك بمعرفة ما عليك من ذلك ولك ، وبدت أوائل * معاني الصحو تلوح لعقلك ، وبدت أوائل الإفاقة تسعى^(٨) بحركاتها لبعض مافي شرك . واعلم أن ضرر الأديان أشر من ضرر

١٣٦.

الأبدان ؛ وسقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام ؛ لأن علل الدين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبوار ، وموردة لأهلها على النار ، مؤذية الى سخط الجبار ، وماعدا ذلك إلى غيره وكان واقفا فيما سواه من الأمراض والأسقام الكائنة في الجوارح والأجسام ، فذلك ضرر يؤمل برؤه ويزول مكروهه وشره ويرجى من الله تعالى ثوابه وأجره . وأعلم أن الطبيب العالم المجرب والحكيم الناصح المؤدب أعلم بدنف الأبدان والعلل المخامرة بآفاتا للأديان ، لأن المعبر عنهما يعبر عما يجد من ذاته ، والواصف لما حلّ به من بلائه ، مقصر عن بلوغ نعته لذلك ، يختلف عن الوصف لما هنالك ، ووصف المتطبّب الخبير المجرب البصير يكشف لأهل الأمراض عما وجدوه ، وينبئهم عن زوال ماقدوه ، حتى كأن الموصوف بعبارة اللسان منظور إليه بحقيقة العيان وإني أصف لك على أثر ذلك أموراً تقوّى لك حالك وتبلغك غاية البغية من سؤالك والقوة بالله العظيم .

أعلم أيها المنسوب إلى العلم بوقوع الصحو لك تبين حيرة السكره . وبكون الإفاقة تقف على وقت الغمرة ، وبصحة الذكر ينكشف لك وبال الغفلة ، وبالسلامة والعافية يتميز لك وقت العلة .

فاعلم أن ذلك كله مشغل في حين كونه عن حقيقة معرفته ، ضار لأهله بما لبسهم منه عن وجود حيرته إلا بحمله ، علم مزاجه اللبس والظلمة ليثبت الله تعالى بذلك عليهم الحجة .

(١/٣٧). فخلّ عن نفسك أيها المعنى بها والحريص على تعجيل استنقاذها وبال السكره والغمرة والغفلة والحيرة باستعمال ما أصفه لك ، والاسراع إلى ما أحثك عليه ، والمبادرة إلى ما أشير به إليك ، فإن صحة الصدق وجودة القصد يؤدديانك إلى المحل الذي هو باب المدخل فيما تحبه والمخرج مما تكرهه ، ولن يحجبك عن بلوغ ماتريد - والقوة بالله - إلا بتقصيرك عن المجاهدة في واجب حق السعى عليك .

فاحذر ثم احذر أن تكون على شيء من ذلك مقصراً ، أو ألفاك وقتاً وأنت عنه فاتر راجع ، فإن مطيتك الموصلة لك الى بغيتك صدقك في إقامة المناصحة في محل مجاهدتك ؛ فقد أوقفتك على وجه المنهج والمدرجة وقربتك من المسير على أوضح المحجة .

وأعلم أيها الرجل الحاذر المحثوث المبادر أن الإقامة المانعة لك ولنظرائك بعد الحمل للعلم وطول السعاية فيه ودوام العناية بجمعه والاستكثار من الحمل له ، الميل الى التأويل والدخول به فيما خفى من النفس من الميل إلى الدنيا والركون إليها .

وهم في ذلك على معاني مختلفة : فمتأول متبين الأغماض والأعراض فيما استكن في خفايا نفسه ، فمضى فيه على ما عليه منه والعلم بنكته . ولا يتركه في كثير من الأوقات ويستتر ذلك عليه في بعض أوقاته .

ومتأول قصد الصحة والتحقيق فيما تأوله ، ولحقه في ذلك الميل من حيث لم يستدركه ، وانطوى عليه ما عليه فيما قصد له ، وكان عنده الذي عمد له وتأوله أولى به من غيره فمضى على ذلك ، وهذا نعت حاله ، فكان مما قصد له في التأويل على معنى الصفة الأولى^(٩) التي تُبين لصاحبها خفي أغماضه وطوي مافي نفسه إذ جعل العلم ذريعة وسبباً إلى ذلك ، فلبس حليته وتحمل بلبوسه وأظهر بالتأويل أثر العلم ودعا إليه ونصب نفسه للشهرة به ليعلم الناس ما علم منه . (ب/٣٧٠)

فلما عُرف موضعه ومكانه وُسُمع منه وأقبل الناس عليه نحوه ، استحسّن اجتماع العوام عليه وثناء الجاهلين بما ليس فيه ، فقوي عليه بذلك سلطان التأويل ، وأوهم نفسه حظ اجتماعهم وانبساط ثنائهم وكثرة تعظيمهم وحسن قبولهم له ، بما ظهر من نفسه وتحسّن به ، مما يعلم الله تعالى منه خلاف ما أسره وأضمره ، فلما استوى له ذلك عند العوام والجهلة ، وكثرة حمد الحامدين

بالغلط والغفلة ، مال إلى مافي نفسه من أخذ العوض على مانشر من علمه ، ورضى بما تعجله من ذلك ثواباً لعلمه ، وصار بائعاً للعلم بالثمن اليسير والخطر القليل ، ورضى بالدنيا عوضاً من الآخرة ومن ثواب الله تعالى على الأعمال الصالحة ، في جملة من ذمّة الله تعالى في كتابه وقصّ علينا من بيانه على لسان نبيه ﷺ . قال الله عزّ وجلّ « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ قَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّعُوا مَا يَشْتَرُونَ » (١٠) . وقال تعالى « فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ » (١١) . فذمهم الله تعالى وقصّ علينا في كتابه وصرّح بذلك إلى العقلاء من عباده ، وبينه بياناً محكماً قوياً لئلا يكون محتج في ذلك حجة ، ولا لقائل فيه مساغ ولا مدافعة .

ثم إن الله تعالى قصّ علينا قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبرنا بما نعتهم به وبما أخذ عليهم من ترك الدنيا والتشمير إلى الآخرة ، وألا يأخذوا على شيء من ذلك ثمناً ولا يريدون عليه أجراً . ولأن حق العلم وحق تأديته إلى الخلق ألا يكون لشيء منه جزاء إلا ثواب الله عزّ وجلّ عليه : والجنة التي جعلها دار من اتقاه وأطاعه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » (١٢) . وقال تعالى « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » (١٣) .

وكذلك قصّ علينا في قصص الأنبياء عليهم السلام ، قال نوح « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى أَنْتَهاكُمْ عَنْهُ » (١٤) وقال « إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي » (١٥) . ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى .

وهذه سيرة الأنبياء عليهم السلام في الأمم وسيرة العلماء في الناس ألا يأخذون (١٦) على شيء من العلم ثمناً ولا يطلبون على شيء بما يعلمون أجراً وسيما (ما) أخذه العلماء على العلم سحتنا وسيما ما أخذه الربانيون والأخبار

مع نبيهم عن ذلك فقال تعالى « لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَئِنْ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »^(١٧) والأخبار في النبی عن ذلك كثيرة والاستقصا في ذلك من الحجة يطول وصفه وقد تبين لك بعض مافيه كفاية وبلاغ وآله الموفق .

وأما الطوائف التي تأولت ورأت أن الذي تأولته هو الحق فإنهم قوم لحقهم الزلل من حيث غاب^(١٨) عنهم علم الحقيقة ؛ وناهم من المشكلات التي لا تبين لأهلها إلا بعد التورط فيها والانغماس في مكروهاها ؛ جعل القوم أثمتهم فيما تأولوه رجالا^(١٩) قلّت مناصحتهم لأنفسهم ولم يصادفوا صواب الحقيقة فيما عمدوه ؛ قالوا : بالخلق إلينا فيما علمناه أشد الحاجة ؛ وعلمنا إقامة الحق في سائر الخلق ؛ فمن ذلك تقديم الأئمة والمشورة عنهم والتقوى بهم .^(٢٠) وكذلك الأمراء والرؤساء وعظماء أبناء الدنيا .

فجعلوا السعى الى الخلفاء والأمراء والحكماء وعظماء أبناء الدنيا عملا لهم يحتسبون به ويؤملون ثوابه ، وجعلوه من أجل الأعمال واعظمها قدراً ، وأوفرها عندهم ثواباً ، فحملوا العلم إليهم وطرقوا به أبوابهم ، وسعوا بما حملوه منه إلى من لم يطلبهم له ولم يدعهم اليه ولم يعرفهم به * فلحقهم في أول الأمر ذل السعاية ، والتوسل إلى الحُجَّاب ، ومهانة الوقوف على أبوابهم ، فمن بين مأذون له ومن بين مردود ، قد لحقتهم المذلة ، وعلتهم العقوبة ولبستهم الذلة ، ورجعوا بخضوع المذلة .

فلم يزالوا كذلك في نَصَبِ الغدو والرواح ، وذلك سبب الهلكة والاجتياح ، حتى وصلوا الى الذي قصدوا ، ونسوا الأله الذي عبدوا ، وأوردتهم الغفلة والنسيان موارد الأموات ، وغمرتهم كثرة العلل والآفات واتصلت بأبصارهم وقلوبهم فتنة ما أعد أبناء الدنيا لأنفسهم وآثروه على أمور آخرتهم من بهجة رونقها ونضرة زينتها ولوعة زهرتها .

واعلم أيها الباحث عن واجب العلم وشرفه ، والطالب للمصافاة بخالص الأعمال لسيدته ، أن أقدام القوم عن مناهج الحقيقة انحرفت ، وأن قلوبهم على صحيح الإرادات ما استوت ، وأنهم مالوا بخفى ما فى النفوس على جميل ما أظهروه وإلى محبة علم الخلق به وتعظيمهم عليه وإجلالهم من أجله . وأحبوا اجتماع الخلق عليهم وإشارتهم إليهم^(٢١) ، حتى تصوب أراؤهم وتصدق أقوالهم وتكبر غايتهم ويتصل الثناء لهم ؛ وإن قصر عن شىء من ذلك عنهم كرهوا وإن لم يقع لهم ما يحبون^(٢٢) غضبوا ، ولا تسل عن فرط الغضب منهم والرضا والتعجب منهم على من خالف مواقع الهوى . وصفهم بكل ماهو فيه يطول به الشرح ويطول به الكلام ، وقد شرحت لك من وصفهم ما انبسط به لسانى . وأجرى لك من نعتى وبيانى وفى ذلك كفاية .

فالبس الآن أنت جلابيب الحذر وتدرع بأدرع الخوف ، وخذ على نفسك جنة التقوى ، وقم لله تعالى على نفسك بدوام الرعاية ، ودوام التفتيش وشدة المحاسبة وجودة التحصيل وصدق البحث ، وصل سراً* مع ذلك بدوام الذكر وقوى الفكر .

فكن ممن جاهد فى الله عز وجل حق جهاده ، ومن أثنى الله تعالى عليه من صالحى عباده ، مع مايقع لك من الوعد الجميل والثواب الجزيل . قال الله عز وجل : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »^(٢٣) وقال الله تعالى « وَكَوْا أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا »^(٢٤) .

فهاتان آيتان موجبتان لمنالات الخير ووقوع الهداية والرشد ، فخذ بحظك الأوفر من العمل بهما وال لزوم لما أمر الله تعالى فيهما . وكن على حذر من موافقة شىء مما تقدم به النعت من ذلك التأويل وخطأ الرأى ، فإن ذلك مؤدى إلى إحباط العمل وشدة الندامة فى المنقلب .

قال له العالم : أيها الحكيم قد أتيت على الذى فى نفسى ، وبلغت مدى ماكان
يجول فى صدرى ، وزدت على ذلك من الوصف أشياء عرفت فضلها ،
وانكشفت لى صواب العلم بها ، وأرجو أن يكون ذلك من فضل الله تعالى
ورحمته لى ، وقد جعلك الله تعالى سببا لتنبهى على أمور لولا منه الله تعالى عليّ
بك فيها لذهب بى التقصير عن العلم بها ، حيث ذهب بمن تقدم وصفك له ،
فاوقفنى حقيقة علمك بها على زلله وخطأ رأيه .

وقد أنعم الله عليّ بما أيدنى به منك ، وعظم عندى قدر ماجعلك الله له أهلا
وموضعا من شرحك لما تقدم من نعته ووصفه ، من أحوال الطبقات الثلاثة
المتأولين ، وماوقع لهم من الخطأ فى القصد والميل بالعمل الى غير منهجه ، والى
الانحراف فيه عن سواء السبيل وقد احتجت أن تصف لى العاملين لله تعالى
بحقيقة العلم * القائمين بحقه ، الصادقين فيما حملوا منه وفيما قلده من تأديته ،
(٣٩٠/ب) الممدوحين بنشره وبما نقلوا الى من دونهم منه ؛ والمحتسين فى تعليمهم الناس
على صحة الإرادة وصلاح^(٢٥) النية وجميل السيرة ، الذين لم تمل بهم الأطماع
ولم يفتنهم الاختداع ، ولم تعرج بهم الأهواء ، ولم تسترقهم إرادات النفوس ؛
ولم تعطف بهم الدنيا ؛ ولم يجر عليهم الزلل والخطأ ، وكانوا فى ذلك كله على
صحة المعنى .

قال الحكيم : ابشر بما فتح الله تعالى لك من باب السؤال ، ويسرك له من
صحة المقال ، فإن ذلك إن شاء الله تعالى سبب لك إلى ركوب الأعمال
ومباشرة فى حقيقة قصدك ، واجعل توسلك إلى الحكمة واستدعائك جميل
الأفعال ، ومؤديا لما أومله لك الى تمهيد صدقك ، فاخلص^(٢٦) الإرادة لله
تعالى . ما تحب منها تحصين سرك من العلل المانعة عنها ؛ واصلح الضمير بإجماعه
لما يجب لها ، فإن الحكمة لمن اشتملت عليه فيها الرغبة ، واستولت على خالص
سره المحبة ، أشد عطفاً وحنيناً وميلاً من الأم الشفيقة^(٢٧) والأب الرفيق .

وكأنى مع ذلك أرى سحابا من العلم غدقةً منبسطةً عليك ، مونةً قد أظلك غمامها ، وقويت لك الآمال باستتمامها ، فاستمطر^(٢٨) الغيث الكائن فيها بدوام الوقوف بحضرة فنائها ، وأدم الاستغاثة بمنزل الغيث ومنشر السحاب وكاشف الضر ومعتق الرقاب ؛ واعلم أنه جلّ ثناءه يحى بقطرة من غيث رحمته ، موات ما أنزلها عليه من بريته ؛ فتحرى^(٢٩) طلب الحياة تكون السقيا ، فإن أوائل تلك الغمام توجدك الشفا ، وإن غدق ما بها يغسل عن سرك الميل الى الدنيا ، ومباشرته بجسمك * يغسل عنك سائر الأدواء ، وذوقك لسائغ طعمه ١/٤٠٠. يميت من نفسك الهوى .

واعلم أن الله تعالى إذا أراد عبدا سهلا له السبيل ووطأ له التثقيب^(٣٠) وأسرع به في الترحيل وبلغه المنزل الفضيل ومنحه الحظ الجزيل . وإني أوملك من الذى عرضك لنجح السؤال وصحيح القصد فى المقال أن ييلغك بفضلته عليك ورحمته إياك ، منازل المنتجين من أوليائه ، والأصفياء المستخلصين من عبادته .

وأنا واصف لك إن شاء الله تعالى ما سألت عنه ، من نعت أهل الحقائق من أهل العلم ، العاملين به ، الصادقين فى القصد اليه ، المجتهدين فى إقامة حقه ، المريدين للعلم لما وجب عليهم منه ، الذين لم تفتنهم فيما قصدوه أطماع الدنيا ، ولم تمل بهم عن الأخذ بحقيقته ، ولم يستفزه الغواة من الأعداء ، « أولئك حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(٣١) اعلم أن أول ما أوتى^(٣٢) المحققين من أهل العلم من العمل فى أول الطلب اصلاح النية وصحة المراد والموافقة فيه للنفوس فيما بدا من إرادة الطلب ، فلم يبيحوا أقدامهم السعى ، ولم يتحركوا فى ذلك بالجوارح ، إلا من بعد ما أحكم جميل النظر لهم بالانبطاس فيه ؛ فسعوا فيه على أصل ما أدبهم العلم به فى أول الأمر ، ومضوا على صحة الحال وشهادة العلم بذلك ؛ وألزم صحة ما يبدؤ^(٣٣) به الحق قلوبهم ، الإشفاق والحذر والتقية ، فضمهم وجود ذلك ، وألزمهم حصر الجوارح وضبط السرائر ودوام الصمت ، وخافوا مع ذلك أن يكونوا قد قصرُوا عن واجب حق السعى فى

طلب العلم ، واشتد تحصيلهم على النفوس ، وصحبهم جميل الذكر ودوام الفكر : في مواطن السعي فحماهم ذلك عن الانبساط عن معاشر الطالبيين له ، (ب/٤٠٠) والساعين معهم فيه فكانوا بحال والحاضرين معهم بحال ، كلما بدا من غيرهم لغو أعرضوا ، وكلما بدا من سواهم غفلة أو لعب خافوا وحذروا ، وكلما ظهر لهم من غيرهم مزعج يجرى الى تأكيد حالهم وتشديد ضبطهم لما عليهم يدعون لمن حضرهم بالسلامة ، ويجوبون لهم الصلاح والاستقامة ، لا يؤذون الناس ولا يحقرونها ولا يفتابونها ولا يذمونهم ، بل يشفقون عليهم إذا رأوا منهم الزلل ، ويدعون لهم إذا بدا منهم الخلل ، يعرفون المنكر وينكرونها ويتجنبونه ، ويعرفون المعروف ويجوبونه ويستعملونه ، لا يزدرون المقصرين لكثرة وجوده ، ولا يغمضون^(٣٤) مَنْ دونهم لما به من حالهم حمدوه ، بل يعرفون ذلك بدلالة العلم عليه ، ولا يخفى عليهم من القوم مانسبهم الحق اليه . فصواب ذلك وخطؤه لهم بالعلم مميز^(٣٥) والسلامة من رؤية مكروه ذلك لهم صاحب^(٣٦) ، وفيما ألزمهم الاشفاق والتقوى شاغل^(٣٧) ولهم على طلب العلم مقبل^(٣٨) ، ألسنتهم بحمد ربهم عند سماع العلم ناطقة ، وقلوبهم الى اعتقاد العمل به مبادرة ، وآذانهم بحسن الإصغاء اليه سامعة ، وأبدانهم بالخدمة لله تعالى ساعية . أحسنوا على جميل السيرة جمعه ، وبالوفاء بفضل الله تعالى عليهم فهمه ، ولم يزلوا بدوام السعي اليه وشدة الإقبال عليه وبكثرة اللزوم لمن العلم حاضر لديه ، حتى أخذوا منه بالخط الأوفر والنصيب الأكبر ، فلما بلغوا منه الى مابه يستعينون ، وغاية ما اليه يحتاجون ، وبحقائقه في سائر الأوقات يعملون ، رجعوا الى تفتيش ماكتبوا والى البحث عما منه طلبوا ، فكان مانعاً لهم من السعاية^(٣٩) جامعا لهم الى الخلوة بالعبادة ، ووقفت بالناس اليهم الحاجة ، وعرف موضعهم بجميل الإرادة وعرف *أماكنهم من العلم ؛ وشرفت أحوالهم من الفضل ، وانبسط ذلك ونشأ وظهر ذلك وبدا ، فمن بين خال بعلمه متشاغل عن الخليفة بعبادته مؤثر^(٤٠) للعمل فيما فتح الله تعالى عليه

منه ، ولا يريد بإدامة الخدمة لله تعالى بدلا ، ولا بالخلوة بما ففتح الله تعالى له من ذلك حولا ؛ ومن بين من حضرته في نُشْرِه العلم النية ، وقويّت له على تعليمه العزيمة ، وسنحت له في ذلك رؤية الفضيلة ، فانبسط في نشر العلم محتسبا ، وكان في العمل لله تعالى بذلك مخلصا ، يرغب الى الله عزّ وجلّ في جميل الثواب ، ويؤمّل من الله تعالى جميل العائدة في المآب ، مصحوبا^(٤١) في ذلك بمصادفة الصواب ، إذا قال نطق بقوة العلم ، وإذا سكّ سكّ بوقار الحلم ، وإذا قصد الى البيان قُرب منال الفهم ، إذا كثروا عليه أحبّ نفعهم ، وإذا تفرّقوا عنه نصّحهم ، يؤدّي اليهم ما حمل من العلم بلسان فصيح وبيان صحيح ، بقلب نصوح وقول صادق ، ولا يعجل على من جهل ، ولا يكافئ من زلّ وأخطأ ، ولا يوافق بالمرآة^(٤٢) أحدا ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرّمه ، ويحسن إلى من أساء اليه ، ويتجاوز عمن يتعدى عليه ، لا يريد على شيء من أعماله من الخلق أجرا ، ولا يميل إلى مدح ولا ثناء ، يجتهد لله تعالى في إخلاص أعماله ويريد وجهه بجميل أفعاله ، لا يقبل الدنيا ممن ييذلها له ، ولا يُعرج على من انبسط بها اليه ، يضع الدنيا حيث وضعها خالقها ، ويغنيه منها ما قسمه له رازقه ، لا يشغل منها بما يزول ، ولا يعمل فيها بما لا يدوم ، منصرف بقلبه عن زينتها ، منحرف عن كل مادعي اليها من بهجة رونقها ، يكفيه ما قلّ وصفا ، ويمجّزه ما سلم واستوى .

يقف منها عند الشبهات ، وينصرف عن الأمور المشكّلات ، بل هو للحلال البين تارك ، وفي الأخذ لما لا بد له منه « مقتصد » ، قد آثر فيها وفي كل مادعي إليها الزهادة ، ولزوم الكدّ والعبادة .

يرحمُ مَنْ مَالَ برغبته اليها ويرثي لمن أقبل بطلبه عليها ، لا يراها حظاً لمن طلبها ، ولا ثمنا لسعي من اشتغل بها ، ينظر إليها بعين زوالها ، وبِقرب انتقالها ، فهذا محل الدنيا عنده ، ومكانها في العلم بها لديه ، وهو مع ما وصفته لك دائم العزلة ، كثير الخلوة ، متصل الجد والخدمة ، يجد راحة قلبه وقرة عينيه وسرور

فؤاده ، فيما خلص من صالح العمل إلى سيده ، وأمل عائدة ثوابه في معاده .
 فإذا ظهر للناس في وقت اجتماعهم عليه ، وطلبهم للعلم العتيد لديه ، ظهر
 بجميل النية وصحيح الإرادة ؛ فكان ذلك عنده بعض الأعمال المقربة
 الصالحة ، فهو لا يخلو من حال هو بها في الخلوة متعبدا ، وإلى الله تعالى فيما
 يقرب اليه مجتهدا ، ومن حاله أن تكون قد حضرته النية . ويرز للخلق فيكون
 لعلمه ناشرا ، ولهم مما علمه الله تعالى معلما . والوجل والخوف من الله عزّ
 وجلّ في أحواله ، والحذر والإشفاق دائما لا يفارقه ، يقوم بشرائط علمه ،
 ويعدل في قوله وحكمه ، هو من أقوم الناس بالأحكام وأعلمهم بالحلال
 والحرام ، وأبصرهم بشرائع الإسلام ، يقع على آثار المرسلين ، ويتبع سنن
 الأولياء والصالحين ، لا يميل إلى بدعة ، ولا يقصر عن الأخذ بالسنة ، بعلم
 بارع محكم قويّ ، وحال واضح بينّ مُستو^(٤٣) ، متوسط بجميع المذاهب ،
 متحرى لأقوّم الآراء ، لا يميل إلى الكلام ، ولا يخطر به منه اهتمام ، لا يطعن
 على الأئمة ولا يذمها ، ويجب لها من الصلاح ما يعمّها ، يرى السمع والطاعة
 ولا ينزع يدا من جماعة ، يرى أن الخروج على الأئمة من فعل الجهلة
 الفاسقين ، والغواة المارقين ، الذين يريدون الفتن ، ويتفنون الفساد في
 الأرض ، أولئك العداة والفساق والظلمة المُرّاق ، الذين سلّكوا غير سبيل
 الهدى ، واستصحبوا الغواية والرّدى ، «ومالوا بالفتنة إلى الدنيا . وقد رفع الله
 عزّ وجلّ عن ذلك أقدار العلماء ، وجعلهم أئمة هداة نصحاء ، أخيارا أبرارا
 أتقياء خلصاء سعداء نجباء سادة أجلة عظماء حلماء كرماء أولياء ، جعلهم الله
 أعلاما من الحق منشورة ومناراً للهدى منصوبة ، ومناهج للبرية مضروبة ،
 أولئك علماء المسلمين وأمناء المؤمنين وأجلة المتقين ، فيهم في نوائب الدين
 يُفْتَدَى ، وبنورهم في ظلمات الجهل يُهْتَدَى ، وبضياء علمهم في الظلماء
 يُسْتَضَى ، جعلهم الله عزّ وجلّ رحمة لعباده ، وبركة على من شاء من برّيته ،
 يعلّم بهم الجاهل ويذكّر بهم الغافل ، ويرشد بهم السائل ، ويعطى بهم النائل ،

١/٤٢٠

ويزيد بهم العامل ، ويبلغ بهم إلى المحل الفاضل ، ويحث بهم الراحل ، ويمكن بهم القوى الكامل ؛ أولئك الذين عمروا بالذكر لله تعالى أعمارهم . وقطعوا بالعمل الفاضل الزكي آجالهم ، وبقوا بذلك للخليقة محمود آثارهم ، ووضحت للبرية ضياء أنوارهم ، فمن اقتبس من سنا نورهم استضاء ، ومن قفا على آثارهم اهتدى ، ومن أتبع سير ما هم عليه سعد ، ولم يشق ، أحياهم الله تعالى حياة دائمة ، ويتوفاهم وفاة سالمة ، وأنسوا بما قدموا به إلى الآخرة ؛ جعل الله خواتم أمورهم أفضلها ، وأحوالهم التي قبضوا عليها أجملها .

وبعد أيها السائل عن نعت المحققين من العلماء العاملين بالعلم في مدة البقاء ، فقد وصفت لك بعض أحوالهم ونعت لك كثيرا من جميل أفعالهم ، ولو أردت بلوغ الاستقصاء لوصفهم ، وذكر ما يستحقونه من نعمهم ، لطلال بذلك كتابي ، واتسع به جواي ، وفيما أجرى الله تعالى ذكره من ذلك كفاية لمن اهتدى ، وبلاغ لمن عمل بما هو أولى .

قال العالم للحكيم : أيها الأستاذ العطوف^(٤) الرحيم والمعلم الناصح الحكيم ، لقد أزعجت بوصفك* للقوم قلبي ، وملأت بالخيفة صدري ، وعرفت بذلك موضعي وقدري ، وخفت أن يعجز عن حمل ماعرفته صبري ، لما بينته من شدة تقصيري ، ودوام تخلفي ، فاحتقرت عند المعرفة نفسي ، وأيقنت بليتي ونقصي ، فكيف لي بما أكون به من ذل التخلف خارجا ، وعن مذموم أخلاق نفسي راحلا ، وفي أوائل طريق القوم داخلا ، فإني أرى الوقوف عن ذلك مأثما ، والبقاء مع الحال التي أنا عليها مغرما .

قال الحكيم : لقد سألت عن شأن عظيم وأمر عال جسيم ، يسهل على العاملين بفضلهم ركوب الأهوال في طلبه ، وحمل الأثقال والتغرب من الأوطان ، والخروج عن الأموال ، وقل من قويت فيما عند الله تعالى رغبته ، إلا سهل عليه بذل بدنه ومهجته ، ولم يعظم عليه شيء في بلوغ بغيته .

فكن أيها السائل عن منازل النجباء ودرجات العلماء وأحوال الأئمة العظماء
المقَفِّين على آثار الأنبياء ، على ترك لكل سبب عن منهاج القوم يعطفك عن
سبيل الهداية والرشد ويمنعك .

فكن إلى الله تعالى راغبا فيما إليه يرفعك ، واعلم أن ملاحظتك بالرغبة إلى
ما قل من الدنيا أو أكثر ، حجاب لك عن الآخرة ، وعلة على ملاحظتك في
حين نفاذ البصيرة ؛ فتح عن ملاحظة الضمير مايورتك رؤيته النقص
والتقصير ، وصفي الضمائر وطهر السرائر بتجريد الاعتزام وإجماع الاهتمام ،
تفردا منك بماله قصدت ، وفي إدراكه رغبت ، فإن في إصلاحك لما بطن من
سرك إحكام لما أعلن وظهر من جهرك . فإياك أن تميل إلى شيء وإن قل
خطره ، فيميل بك عن محمودٍ وضح لك أمره ، فإن أغبن الغبناء من باع كثير
مايقى ، بقليل مايغنى ، ومن شغل نفسه عن أمور الآخرة بأموال الدنيا .
واجعل أيها الرجل الطالب لفضل الأحوال والمذاهب أول ماتبدأ من عملك ،
وتقرب بفعله إلى ربك ، الزهد في الدنيا والإعراض عن كل ما مالت إليه النفس
من قليل أو كثير ، فإن قليل ماملت به إليها ، يأخذ من سرك* ويشغل من قلبك
ويعترض على ذكرك ؛ وعلى قدر قوة مامعك من مواد القليل منها وضعفه ،
كذلك تكون قوة المعارض منه وضعفه ، وعلى حسب الواقع من ذلك ،
يحتجب عنك فهم ما قصدت الهمة ، وإنما تؤثر الأعمال وتحصن القلوب ، إذا
انقطعت عوارض الدنيا عنها ، فإذا اعترض منها شيء وإن قل ، فهو المراد
والعمل معا ، وكان ذلك يبعد المحاضر والأفهام ، ويوقف الحال عن حقوق
الاستتمام ، فاحذر ماعاطفك منها ، ومال بك وإن قل قدره إليها ، تخلص^(٤٥)
بتخلصك من ذلك الى سوى الحال وصحة الفعل والمقال .

(١/٤٣)٠

فقال له العالم : وضعتُ لنصحك خدى ، وجمعتُ له هدى وفرغتُ له قلبى
وتبينت فيه رشدى ، وقد أملتُ برشد هدايتك وحقيقة دعايتك وصدق
مناصحتك ، أن يبلغنى الله تعالى إلى كل ما أؤمله وغاية ما أطلبه ، وقد رأيت

ينابيع الحكمة الجارية من مكنون شرك على لسانك ، واصلة إلىّ ببعض ما
تقصدي به ، وقد ذقت سائغا من مائه ، فأوجدني انتعاشُ تبينه محبةً نفعلك لى
به ، فزدني منه ماتقوى به الحياة الباعثة لى ، من موت مامضى من الحال ، إلى
مستقبل ماوقع من الانتقال ، فإنى لم أجد شيئا أرجع به فيك إلى الله تعالى ، إلا
مناجأتى له بجميل مجازاتك عنى ومكافأته لك بما هو له أهل وولي ، وبعد
إيقاظك لى أيها الحكيم من رقدة الغفلة ، وإنباهك لى من وسن السهو والسنة ،
فقد وجدت^(٤٦) استقلالا إلى استدراك الفهم عنك ، يحملنى ماوجدت منه إلى
العمل ببعضه ، ووجدت مطالعات مابقى علىّ من التقصير ، يزجرنى عن
الوقوف عنها لمحكم بيان وعلم إيقان ، فأما ماين ماسنح من تيسير الله تعالى
للعلم ، وبين مانبه العلم عليه من النهوض الى مابقي

الكواش

- (١) م : فأفضوا .
 (٢) م : ولانك .
 (٣) ليحقق .
 (٤) م : ظاهر .
 (٥) م : أحيا .
 (٦) سورة الروم : آية ٥٠ .
 (٧) م : لبرؤه .
 (٨) م : نسع .
 (٩) م : الاوله .
 (١٠) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .
 (١١) سورة الأعراف : آية ١٦٨ .
 (١٢) سورة ص : آية ٨٦ .
 (١٣) سورة الشورى : آية ٢٣ .
 (١٤) سورة الفرقان : آية ٥٧ . سورة هود : آية ٨٨ .
 (١٥) سورة هود : آية ٥١ .
 (١٦) م : يأخذوا .
 (١٧) سورة المائدة : آية ٦٣ .
 (١٨) م : غابت .
 (١٩) م : رجال .
 (٢٠) م : منهم .
 (٢١) م : اليه .
 (٢٢) م : يحبوا .
 (٢٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .
 (٢٤) سورة النساء : آية ٦٦ .
 (٢٥) م : لإصلاح .
 (٢٦) م : واخلص .
 (٢٧) م : الشفقة .
 (٢٨) م : واستمطر .
 (٢٩) م : فتحررا .
 (٣٠) م : بالتثقل .
 (٣١) سورة المجادلة : آية ٢٢ .
 (٣٢) م : اتوا .
 (٣٣) م : يبلوا .
 (٣٤) لعلها يغمطون .
 (٣٥) م : مميزا .
 (٣٦) م : صاحبا .
 (٣٧) م : شاغلا .
 (٣٨) م : مقبلا .
 (٣٩) م : السقابة .
 (٤٠) م : مؤثرا .
 (٤١) م : مصحوب .
 (٤٢) م : بالمرأة .
 (٤٣) م : مستوى .
 (٤٤) م : العطيف .
 (٤٥) م : يخلص .
 (٤٦) م : وجب .

كتاب البيند إلى
أبي يعقوب يوسف بن الحسين الوازى
وحكمما الله تعالى

نسخة كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رحمهما الله تعالى

كشف الحق لك عن حقيقة أنبائه ، وتوَلَّاكَ بعظيم مننه وآلائه ، وتضمنك في ضمِّهِ إياك إلى سوايغ نعمائه ، وجرت عليك برفعه لك إليه وإعلائه ، فكنت بحيث لا تكون الأغيار لك إليه سببا ، بل تكون بما يوجد به منك منتسبا ، قد أخلصك بما اصطفاك به من خالص صفوته وأوحدك بالانتحال^(١) من خصه بولايته ، وتخَيَّرَكَ بالاجتماع من كبراء أهل مودته ، الذين آثرهم بالاصطفاء لعظيم خلته ، فكانت أوائل أقدامهم المجردة لديه ، الموضوعة على مناهج الورود عليه ، النزوع عما دونه إليه ، فَسَبَقَتْ إليه به كل سابق ، وَسَمَتْ إليه وحده عن سُنَيَات المطالب ، على أنوار فواتح البذل ، تخر عليهم خريرا ، وتدر بمنائح الأفضال عليهم درورا ، بسكب غيث هاطل منهمل ، ومدرار غُلْفٍ بغرائب البر متصل ، * يذهل ببوادي وروده عقول من لاحظته به ، ويهر بأوائل شهوده مَنْ أَرَادَهُ له فيلَى أين وبماذا يتخطى^(٢) ذلك قلوب المكرمين به ، وكيف وأتَى تتحماه عقول المصادفين له ، وذلك لا يكون بفعل مكنون ، وإن كان مكرما ، ولا ينفذ عنه بتخطيه سر ولي وإن كان ممكنا ، ولن يحمل ذلك عن أهل مجالسه وأُنسِهِ إلا الحامل بقوته وقدرته حملة عرشه ، فهو ولي المحاماة عمن اصطنعه لنفسه ، فعند ذلك إذا أراد ذلك دعا إلى إخلاص ذكره ، وأقبل بمن تفرد به عليه ، وأوى^(٣) بمن استأثر بمكنون سره إليه ، فكان ما جمعه لأهل الزلفى لديه والمقرين عنده لهم تبعا ، وسائر أولياه فيما عاطفوا من ذلك شيئا . لهم منه ما بذله من عظيم عطائه ، وجاد به من جليل مننه وآلائه ، فذلك حظهم المبذول ، وعطاؤهم الدائم الموصول ، وذلك كله على عظيم قدره ، وجليل ما خصهم الله تعالى به من نفيس بره ، حجاب عما أخلص به المنفردين بخالص ذكره ، مع حقيقة وجود ذلك ، والكون بالنزول فيما هنالك يبدو^(٤) أوائل علم من تفرد به وأراد به بالاختصاص لما يوجد له ، ولن يصلح لمعاينة ذلك عين

٥٠/٤١

بقيت عليها منها بقية ، ولن يلاخ طرف مواقع لرزية ، جعلنا الله وياك يا أخى
من اصطنعه لنفسه ، واستأثر به عمن دونه .

كتابى إليك يا أخى وسبل الحق مسهلة المناهج ، وطرق الرشذ زاهرة قد
وُطئت بالتهيد لأقدام السالكين ، وفُسحت بالتوسعة لسير الطالبين ، وزُينت
ببهجات الأنوار لقلوب الراغبين ، وهى مع ذلك لقله القاصدين إليها ولقلة
السائرين بالصدق عليها ، كالعشار المتعطلة ، والمواطن القفار الخربة ، ليس لها
على ما عظم الله من قدرها ، ووعد من جزيل الثواب على سلوكها ، من أكثر
الناس عامر ، ولا فى عظيم خطرهما من الخلق راغب ، وإنى أرى العلم مع كثرة
منتحليه وانتشار طالبيه * بقلة صدقهم فى قصده ، وتركهم العمل بواجب حقه ،
كالعازب المتغرب البعيد المنفرد ، وأرى الجهل والدعاوى على كثير من الناس
غالبا ، وقلة العلم للمنتحلين للعمل بيّنة^(٥) ، وأرى هموم أكثر الخليفة على الدنيا
عاكفة ، ولما تَعَجَّل من حطامها طالبة ، ولقليل ما تعجل منها مؤثرة ، وقد
انكفت العقول والقلوب بالانكباب على طلبها ، وانصرفت إلى الرغبة فى القليل
منها ، وأراهم بشر المراد وكثرة الفساد وقلة العمل للمعاد ، فى غمرة سكرتها ،
وحيرة هوالك ما استولى عليهم منها ، ليس فيهم لغلبة ذلك عليهم مفيق ،
ولا راجع إليك أن وعظته بتحقيق ، قد اشتملت عليهم الفتنة بالعاجلة ،
فتحيرت عقولهم عن أمور الآجلة . وبالخلق يأخى إذا كانوا كذلك أشد الحاجة
الى عالم رفيق ، ومؤدب مناصح شفيق ، وواعظ يدهم على الطريق ، وأنت يا
أخى رضى الله عنك بقية من مضى ، وأحد من يشار إليه من العلماء ، وجليل
من أكابر الحكماء ، وقد علمت رضى الله عنك أن الله عز وجل قد أخذ الميثاق
على أهل معرفته وأولى العلم به الذين آثرهم بكتابه ، وفتح لهم فى الفهم عنه ،
وخصهم بما استخلصهم به من تبيان ، وقلدهم من عظيم آماناته أن يبينونه
للناس ولا يكتُمونه ، وقال جل ثناؤه « والربانيون والأخبار بما استُحِفُّوا مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ »^(٦) وقال تعالى « لولا ينههم الربانيون والأخبار عن قولهم الأثم
وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »^(٧) وأنت يا أخى أحد من بقى ممن قلد

من ذلك ماقلدوه ، وعرف من أنباء الحكم بعض ماعرفوه ، وعليك عندى تبيان ماوهبه الله جل ثناؤه لك ، والقول بعظيم ما أنعم به عليك ، فاعدل رضى الله عنك الى المريردين بهمك ، وأقبل عليهم بوجهك ، وانصرف إليهم بحجبتك واعطف عليهم بفضلك وأثر على غيرهم بدلالتك ، وجميل دعايتك ، وابذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك ، وكن معهم فى ليلك ونهارك وخصهم بما عاد به عليك ولك ، فذلك حق القوم منك ، وحظهم مما وجب لهم عليك ؛ أما سمعت الله جل ثناؤه وذكره وهو يقول لأعظم خلقه عنده قدرا ، وأعلاهم لديه منزلا « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ »^(٨) فهذه وصية الله جل ثناؤه لنبيه المجتبى محمد ﷺ المصطفى .

يا أخى رضى الله عنك لم أنبهك على حظ كنت عنه غافلا ، ولا على أمر رأيتك عنه مقصرا ، وأعيدك بالله من كل هفوة وتقصير ، وعن كل نقص وفتور ، لكن الله عز وجل يقول « وَذَكَرْ فَإِنْ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »^(٩) .

وقد بدأتك بكتاى هذا متوسلا به إلى مواصلتك ، ومستزيذا به من إقبالك على ومؤانستك ، ومتسببا به إلى مكاتبتك ، فكن حيث أحببته منك ، وزدنى فيما رغبت فيه إليك ، جعلك الله سببا لنفع إخوانك .

ومع ذلك يا أخى هديت لرشدك ، فقد سنج لى شىء أريد أن أقوله ، بدأت بنفسى فيه قبلك ، وأحب أن أكون فيه تبعا لك بعدك ، وأقدم مع ذلك الاعتذار إليك ، إن لم يقع مقبولا لديك ، فخذة إن كان له فى الحق موضعا ، وكن له على المناصحة مستمعا ، فهو لك منى على المناصحة مبذول ، وإن رددته على فهو لدى مقبول .

يا أخى رضى الله عنك كن على علم بأهل دهرك ، ومعرفة بأهل وقتك وعصرك ، وابدأ فى ذلك أولا بنفسك ، وكن عاطفا بعد احكامك فيه بحالك ...

الكواشر

- (١) م : وأوحذك كما بالانتحال .
(٢) م : يتخطا .
(٣) م : واوا .
(٤) م : يبدوا .
(٥) م : بين .
- (٦) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٧) سورة المائدة : آية ٦٣ .
(٨) سورة الكهف : آية ٢٨ .
(٩) سورة الناريات : آية ٥٥ .

كتاب الفناء

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وصلواته على محمد وآله وسلم تسليماً

كتاب الفناء

كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه :

الحمد لله الذى قطع العلائق عن المنقطعين اليه ، ووهب الحقائق للمتصلين به المعتمدين عليه ، حين أوجدهم ووهب لهم حبه ، فأثبت العارفين فى حزبه ، وجعلهم درجات فى مواهبه ، وأراهم قوة أبدائها عنه ، ووهبهم^(١) مِنَّةً من فضله ، فلم تعترض عليهم الخطرات بمُلْكها ، ولم تلتق بهم الصفات المسببة للنقائص فى نسبتها ، لانتسابهم الى حقائق التوحيد ، بنفاذ التجريد ، فيما كانت به الدعوة ، ووجدت به أسباب الخطوة^(٢) ، من بوادى الغيوب وقرب المحبوب .

ثم سمعته يقول : وهبني ثم استر بي عنى فأنا أضّر الأشياء عليّ ، الويل لى منى ، أكادى وعنه بى خدعنى ، كان حضورى سبب فقدى ، وكانت متعتى بمشاهدتى كمال جهدى . فالآن عدمت^(٣) قواى لعناء^(٤) سرى . لا أجد^(٥) ذوق الوجود ولا أحلو^(٦) من تمكين الشهود ، ولا أجد نعيماً من جنس النعيم ، ولا (أجد) التعذيب من جنس التعذيب ، فطارت المذاقات عنى ، وتفانت اللغات من وصفى^(٧) ، فلا صفة تُبدى ولا داعية تُحدى . كان الأمر فى إبدائه كما لم يزل فى ابتدائه .

قلت : فما أبان منك هذا النطق ولا صفة تبدو^(٨) ولا داعية تحدو^(٩) .

قال : نطقت بغيبتي عن حالى .^(١٠) ثم أبدى^(١١) على من شاهد قاهر وظاهر شاهر . « أفنانى بإنشائى كما انشائى بدياً فى حال فنائى ، فلم أؤثر^(١٢) عليه لبراءته من الآثار ، ولم اخبر عنه إذ كان متولياً للإخبار . أليس^(١٣) قد محى رسمى بصفته ، وبامتحائى فات علمى فى قربه ، فهو المبدىء كما هو المعيد .

﴿١٥٥﴾

قلت : فما قولك افنائى بإنشائى كما أنشائى بديا فى حال فنائى ؛ قال : أليس تعلم أنه عز وجل قال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الى قوله « شهدنا »^(١٤) فقد أخبرك عز وجل أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كان واجدا بغير معنى وجوده لأنفسها ، بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ، ولا يجده سواه ، فقد كان واجدا محيطا شاهدا عليهم بديا فى حال فنائهم عن بقائهم ، الذين كانوا [فى الازل]^(١٥) للأزل ، فذلك هو الوجود^(١٦) الربانى والإدراك الإلهى الذى لا ينبغى إلا له جل وعز ؛ ولذلك قلنا إنه إذا كان واجدا للعبد يجرى عليه مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التى لا يشارك فيها ، كان ذلك الوجود أتم الوجود وأمضاه لا محالة ، وهو أولى وأغلب وأحق بالغلبة والقهر وصحة الاستيلاء على ما يبدو^(١٧) عليه ، حتى يُمَحَى^(١٨) رسمه عامة ويذهب وجوده ، إذ لا صفة بشرية ووجود ليس يقوم به لما ذكرنا ، تعاليا من الحق وقهره ، [إنما هذا تَلَبُّس]^(١٩) على الأرواح [ماها من الأزلية]^(٢٠) .

نعيم ليس (من جنس) النعيم المعقول ، وسخاء بالحق لا من جنس السخاء المعلوم ، إذ كان عز وجل لا يحس ولا يُحس ولا يبدل ذاتيته ، ولا يعلم أحد كيفية لطائفه فى خلقه ، وإنما معنى ذلك ربانى لا يعلمه^(٢١) غيره ولا يقدر*^(٢٢) عليه إلا هو ، ولهذا قلنا إن الحق أفنى^(٢٣) مابدا عليه ، وإذا استولى كان أولى^(٢٤) بالاستيلاء وأحق بالغلبة والقهر .

قلت : فما يحد أهل هذه الصفة ، وقد محوت اسم وجودهم وعلومهم ؟ قال : وجودهم بالحق بهم وما بدا عليهم بقول وسلطان غالب ، لا ما طالبوه فأذكروهم وتوهموه بعد الغلبة ، فيمحقها ويفنيها ، فإنه غير متشبث بهم ولا منسوب اليهم ، وكيف يصفون ويجدون ما لم يقوموا فيحملوه ، أو يقاربوه فيعلموه ، وإن الدليل على ذلك من الخبر الموجود ، أليس قد روي عن النبى ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل « لا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » . وفى

الحديث زيادة في الكلام غير أنى قصدت الحجة منه في هذا الموضع ؛ فإذا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به فكيف تكيف ذلك بكيفيته أو تحده بحد تعلمه ؟ ولو ادعى ذلك مدع^(٢٤) لأبطل في دعواه ، لأننا لا نعلم ذلك كائنا بجهة من الجهات تعلم أو تعرف ، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ماشاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق ، وذلك فعل الله عز وجل فيه ومواهبه له^(٢٥) ، منسوبة اليه لا الى الواجد لها ، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به ، وإنما كانت واقعة عليه^(٢٦) من غيره ، وهى لغيرها أولى وبه أخرى ، وكذلك^(٢٧) جاز أن تكون بهذه الصفة الخفية ، وهى غير منتسبة به على النحو الذى ذكرناه .

١/٥٦٠

قلت : كيف يكون الحضور سبب الفقد والمتعة بالمشاهدة كمال الجهد ، وإنما علم الناس هاهنا أنهم يتمتعون ويجدون بالحضور ، لا يُجهدون في ذلك ولا يُفقدون ؟

قال : ذلك علم العامة المعروف ، وسبيل وجودهم الموصوف ، فأما أهل الخاصة والخاصة المختصة ، الذين غُربوا لغربة أحوالهم ، فإن حضورهم فقد ، ومتعتهم بالمشاهدة جهد لأنهم قد محوا عن كل رسم ومعنى يجدونه^(٢٨) بهم أو يشهدونه^(٢٩) من حيث هم ، بما استولى عليهم فمحاهم ، وعن صفاتهم^(٣٠) أفناهم ، حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم ، وثبت دواعي^(٣١) ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه ، فوجدوا النعيم به غيبا بأمتع الوجود على غير سبيل الوجود ، لاستثثار^(٣٢) الحق واستيلاء القهر ، فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبى الذى لا تحاسه النفوس ولا تقاربه^(٣٣) الحسوس ، ألقت فناها عنها ووجدت بقاها بمنعه فناها . فإذا أحضرها أنيتها^(٣٤) وأوجدتها جنسها ،^(٣٥) استترت بذلك عما كانت به وكان بها ، فغصت^(٣٦) بنفسها وألقت بجنسها ، إذا أفقدها التمام الأول والاكرام الأكمل ، وردت الى تعلم وتعقل ، فالحسرة فيها مستكنة وغصة الفقد بها متصلة في حال حضورها وكائن وجودها ، ولذلك تاقت الى

الشهوة ورجعت الى الحاجة . وكيف لا يكلمها اخراجها^(٣٧) بعد غيابها وتوقانها بعد امتلائها . فمن ههنا عرجت نفوس العارفين الى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة^(٣٨) والرياض الخضرة ، وكان ماسوى ذلك عذابا عليها^(٣٩) مما تحن اليه من أمرها الأول الذى تشمله الغيوب ويستأثر به المحبوب . ويحك إن اشارته الى الصفة إشارة لا يشارك فيها ، ومراده فيها ومنها هو ما استأثر به^(٤٠) عليها . فمن كان مستترا أو ذاكرها أو مختصا بها ، كان لا ينبغي للمراد بذلك حضور البوادرى عليه ولا البواعث منه اليه ؛ فتأمن^(٤١) صفته عن الفناء بحقيقته ،^(٤٢) ذاهبا^(٤٣) عن الحضور ماهو به ، اقتدارا من الغالب له القائم به المستولى عليه . حتى إذا أحضر وأشهد ضمن حضوره الاستتار^(٤٤) وامحت في شهوده الآثار^(٤٥) ، حتى لا يجد السبيل الى درك الشفاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى^(٤٦) ، كذلك يرى^(٤٧) فى صفته العليا وأسمائه الحسنى^(٤٨) . وإنما جرت سنة^(٤٩) البلاء على أهل البلاء من ههنا ، حتى جاذبوا وأقاموا ولم ينخدعوا ، أقيم عليهم ما محققهم فى نفس القوة وعلو المرتبة وشرف النسبة .

قلت : فما أعجب ما أخبرتنى به وإن أهل هذه النسبة العالية ليجرى عليهم البلاء؟ فكيف ذلك حتى أعلمه ؟ قال : افهم : لما طلبوه فى مراده ومانعوه عن أنفسهم ، فطلبوا له فى استيلائه^(٥٠) عليهم بساط البلاء على صفاتهم ، لأن لذة الأشياء فيهم ، سترهم به ليقضوا^(٥١) بأنيتهم ويحترفوا^(٥٢) بحسوسهم ويلذوا^(٥٣) برؤية أنفسهم ، فى مواطن الفخر ونتائج الذكر وغلبات القهر . وأنى لك بعلم ذلك ، وليس يعلمه إلا أهله ، ولا يجده سواهم ، ولا يطيقه غيرهم . أو تدرى لما^(٥٤) طالبوه ومانعوه ، فتوسلوا بما منه بدا اليه ، واستعانوا فى التوسل بالحقائق عليه ؟ لأنه أوجدتهم وجوده لهم وثبت فيهم وعليهم غيب سرائره الواصلة اليه ، فامتحت^(٥٥) الآثار ، وانقطعت^(٥٦) الأوطار ، حتى* توالى^(٥٧) النسب ، وتعالى الرتب ، بفقدان الحس وفناء النفس .

ثم أحضرهم^(٥٧) الفناء في فنائهم ، وأشهدهم الوجود في وجودهم ؛ فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم^(٥٨) من أنفسهم سترًا خفيًا وحجابًا لطيفًا ، أدركوا به غصة الفقد وشدة الجهد ، لاستتار مالا تلحق به العلل ، إحضار مايلحق العلل به وتليق الآثار بصفته . فطالبوه فيما كان مطالبهم ، ومايعرفه^(٥٩) من نفوسهم ، لأنهم حلوا بمحل القوة ، ونالوا حقائق الخطوة ، فأقيم عليهم مشغلا لهم ، فنشأ منه فيهم تمام كان ولا كان على الصفة ، وإن كانت غصة^(٦٠) البلاء تزيد .

قلت : فصف لى تلوين البلاء عليهم فى موطنهم العجيب ومنزلهم القريب . قال : إنهم استغنوا بما كان بدا ، فخرجوا عن الفاقة ، وتاركوا المطالعة ، وألبسوا الظفر بجهد الاقتدار وصوله الافتخار ، وكانوا بذلك ناظرين إلى الأشياء بما لهم ، دون التعرّيج على ما له ، بإقامة الفرق والفصل ، لما رأوا ووجدوا^(٦١) بالعينين ، فاستولى بالأمرين^(٦٢) ، فإذا بدت عليهم بوادى الحق ، ألقا منه لهم مما لهم ، على التجريد اقتدارا وافتخارا . خرجوا عن ذلك غير مشاككين له ، مؤثرين لما انفردت به متعتهم ، دالة عليه ويقينا بالسماحة ، لا يرون رجوعا عليهم ولا مطالبة تجرى عليهم . فإذا كان ذلك أحاط بهم المكر من حيث لا يعملون .

قلت : قد أغربت على عقلى ، وزدت فى خيالى^(٦٣) فادن من فهمى . قال : إن أهل البلاء^(٦٤) لما اتصلوا بحادث الحق فيهم^(٦٥) ، وجارى حكمه عليهم ، تغربت أسرارهم ، وتاهت أرواحهم عمر الأبد ، لا تأويها المواطن ولا تجنّها الأماكن ، تحنّ الى مبتليها حيننا ، وتتن^(٦٦) * بفناء النأى عنها أنينا ، قد شجهاها فقداها وذلها^(٦٧) وجدانها ، أسوفه عليه ، موجعة لديه ، متشوقة فى الوجد إليه ، أعقبها بها ظمًا ، ويزيد الظمًا فى أحشائها نماء ، فهى الكلفة بمعرفتها ، السخية بفقدها . أقام لها عطشها اليه مع كل مأتم مأتما ، ورفع لها فى كل كسوة

• (٥٧/ب)

علما ، يذيقها طعم الفقر ، ويجدد عليها رؤية احتمال الجهد ، مماله مع آثار المؤن ، توافقه الى مثلات الشجى^(٦٨) ، طلبة لشفائها ، متعلقة بآثار المحبوب فيما يبدو^(٦٩) ، وكل إبعاد تراه بعين الدنو . خفيت^(٧٠) خفاء لفقد سترها فما استترت ، وابتلاها فما نكلت . وكيف تستتر ، وهى مأسورة لديه ، محتسبة له بين يديه . سمحت له بهلاكها فيما أبدى عليها من ابتلائها ، ولم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبه وتعلقا به فى محل قربه . ترى مقادير الألاحظ منه فى سرعة يقظتها ، يستغرق هلاكها بالجارى عليها فى دوام البقاء وتشديد البلاء^(٧١) ، حتى امتعها بلاؤها ، وأنسها به بقاؤها ، لما رآته قريبا لمنعها واتيا بلسعتها فلم تلوعن حملة كاللا ولا برمت به ملالا . هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرّ اليهم . أقاموا فى قهره ، انتظار أمره ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

وأهل البلاء^(٧٢) يقسمون^(٧٣) على قسمين : فمنهم من أوى^(٧٤) إلى بلائه ، فساكن مراده ، ومابلى هواه فى الأشياء إثارا لمتعة نفسه ، وتمتعه بوجود حسه حتى انكى^(٧٥) به ومكر به وأزال بالمكر عنه مزايلة حالة ، واعتد ببلائه شرفا ، ورأى^(٧٦) أن سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف ...

تم كتاب الفناء وكانت النسخة المنقول منها نسخة أعجمية كثيرة السقم جدا فلتوقع نسخة مرضية للتصحيح بها إن شاء الله . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الكهوامش

- (١) م : ووهبه .
 (٢) في الهامش . الأصل في المخطوطة : الحظرة .
 (٣) في الهامش . الأصل في المخطوطة : عزمت .
 (٤) في المخطوطة والهامش : لفناء .
 (٥) في الهامش . الأصل في المخطوطة : لاجد .
 (٦) م : أخلوا .
 (٧) م : وضعى .
 (٨) م : تبدلوا .
 (٩) م : تحدوا .
 (١٠) م : مالى .
 (١١) م : أبدا .
 (١٢) م : أوشر .
 (١٣) م : ليس .
 (١٤) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
 (١٥) أضيفت من كتاب الميثاق .
 (١٦) م : الموجود .
 (١٧) م : يبدوا .
 (١٨) م : تمحا .
 (١٩) م : فإذا كان هذا تلبسا .
 (٢٠) أضيفت من كتاب الميثاق (٥٨ ب) .
 (٢١) م : يعلم .
 (٢٢) م : إفنا .
 (٢٣) م : أولا .
 (٢٤) م : مدعى .
 (٢٥) م : وما ووهبه .
 (٢٦) م : واقفة به .
 (٢٧) م : وكما .
 (٢٨) م : يجلدوه .
 (٢٩) م : يشهدوه .
 (٣٠) م : صفاته .
 (٣١) م : رواع .
 (٣٢) م : الاستينار .
 (٣٣) م : تقاومه .
 (٣٤) م : اثبتها .
 (٣٥) م : جبسها .
 (٣٦) م : فعصت .
 (٣٧) م : ما انخرجها .
 (٣٨) في هامش المخطوطة : الأنقة .
 (٣٩) م : عليهم .
 (٤٠) م : فياض .
 (٤١) م : بمقتنته .
 (٤٢) م : وذاهبا .
 (٤٣) م : الاستثار .
 (٤٤) م : في الآثار .
 (٤٥) م : تعالى في الحق .
 (٤٦) م : ير .
 (٤٧) م : الحسناء .
 (٤٨) م : سنت .
 (٤٩) م : اسنيلاه .
 (٥٠) م : اليقضون .
 (٥١) م : ويحترفون .
 (٥٢) م : ويللدون .
 (٥٣) م : برية .
 (٥٤) م : لمن .
 (٥٥) م : فامتا .
 (٥٦) م : وانقطع .
 (٥٧) م : أحضرها .
 (٥٨) م : وأشهد .
 (٥٩) م : يعرفها .
 (٦٠) م : عنده .
 (٦١) م : يوجد .
 (٦٢) م : الامرين .

الكواكب

- (٧٠) م : حلب .
- (٧١) م : اليل .
- (٧٢) م : اليل .
- (٧٣) م : يقسموا .
- (٧٤) م : أوا .
- (٧٥) م : أجا .
- (٧٦) م : وروی .

- (٦٣) م : حبایی .
- (٦٤) م : الیل .
- (٦٥) م : فيها .
- (٦٦) م : تان .
- (٦٧) م : وذلها .
- (٦٨) م : ممثلات الشجا .
- (٦٩) م : يبدوا .

كتاب الميثاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١/٥٨)٠

ومن كلام الجنيد رحمه الله في قوله تعالى « وإذ أخذ ربك »^(١) . قال كاتبه :
يليق بهذا الكتاب أن يسمى « كتاب الميثاق » ، ولسهل رحمه الله كلام في ذلك
سمي بكتاب الميثاق .

الحمد لله الذى جعل ما أنعم على عباده من إزناغ نعمته دليلا هاديا لهم إلى
معرفته ، بما أفادهم به من الأفهام والأوهام التى يفهمون بها رجع الخطاب ؛
أحمده دائما ديموميا ، وأشكره شكرا قائما قيوميا^(٢) ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله
الفرد الفريد الأحد الوحيد الصمد القدوس ، وأشهد أن محمد ﷺ الكامل
بالنبوة والتام للرسالة ﷺ وعلى آله أجمعين .

ثم إن لله عز وجل صفوة من عباده وخلصاء من خلقه ، انتخبهم للولاية
واستخلصهم للكرامة وأفردهم به له ، جعل أجسامهم دنيوية^(٣) وأرواحهم
نوارنية وأوهامهم روحانية وأفهامهم عرشية وعقولهم حجية ، جعل أوطان
أرواحهم غيبية في مغيب الغيب . جعل لهم تسرحا في غوامض غيوب
الملوكوت ؛ ليس لهم مأوى^(٤) إلا إليه ؛ ولا مستقر إلا عنده ؛ أولئك الذين
أوجدتهم لديه في كون الأزل عنده ومراكب الأحذية لديه ؛ حين دعاهم
فأجابوا سراعا ، كرما منه عليهم وتفضلا ؛ أجاب به عنهم حين أوجدتهم ؛ فهم
الدعوة منه ؛ وعرفهم نفسه حين لم يكونوا إلا مشيئة أقامها بين يديه ؛ نقلهم
بإرادته ثم جعلهم كذر أخرجهم بمشيئته خلقا فأودعهم صلب آدم عليه السلام
فقال عز وجل « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم ألست بربكم »^(٥) . فقد أخبر جل ذكره أنه خاطبهم وهم غير
موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كانوا واجدين للحق من غير وجودهم
لأنفسهم ، فكان^(٦) الحق بالحق في ذلك « موجودا بالمعنى الذى لا يعلمه غيره
ولا يجده سواه ؛ فقد كان واجدا^(٧) محيطا شاهدا عليهم برأهم في حال فنائهم ،

(ب/٥٨)٠

الذين كانوا في الأزل للأزل أولئك هم الموجودون الفانون في حال فنائهم
 الباقون في بقائهم ؛ أحاطت بهم صفات الربانية وآثار الأزلية وأعلام
 الديمومية ؛ أظهر^(٨) هذه عليهم لما أراد فناءهم^(٩) ليديم بقاؤهم^(١٠) هناك ،
 وليفسحهم في علم الغيب غيبه ؛ وليربهم غوامض مكنونات علمه ويجمعهم
 به . ثم فرقهم ثم غيبهم في جمعهم وأحضرهم في تفريقهم ، فكان غيبهم سبب
 حضورهم وحضورهم سبب غيبهم . اختطفهم بالشواهد البادية^(١١) منه عليهم
 حين أحضرهم ، واستلبهم عنها حين غيبهم ؛ أكمل فناءهم^(١٢) في حال بقائهم
 وبقاءهم^(١٣) في حال فنائهم . أحاطت الأمور بهم حين أجرى عليهم مراده من
 حيث يشاء بصفته المتعالية التي لا يشارك فيها . فكان^(١٤) ذلك الوجود أتم
 الوجود ، وهو أولى وأعلى وأحق بالقهر والغلبة وصحة الاستيلاء على ما بدا منه
 عليهم حتى يحى أثرهم ويمتحن رسومهم ويذهب وجودهم ؛ إذ لاصفة بشرية
 ولا وجود معلومية ولا أثر مفهومية ؛ إنما هي تلييسات^(١٥) على الأرواح مالها
 من الأزلية ؛ ذوق وجود نعيم لا كالنعيم ؛ مستحيلة في المعاني متفقة الأسامي
 متصادقة في ذوق نعيمها متلونة في رسوم شواهدا ، تبدو^(١٦) بنعيمها في طوابع
 شواهدا وتتلون في ذوق مرارات طعمها ؛ لهج أفكارهم في محبوبهم وتزمت
 أذكاهم في أسرارهم ؛ هاجت عليهم عند ذلك بحار الغيرة تتلاطم أمواجها ،
 عظم البلاء عند تصفحهم لواردها ، واضمحلت نفوسهم عند توقعهم إياها ،
 وقام عليهم كل معلوم نكرا وثبت كل نكر معلوما ؛ برزوا بعلم الحقيقة
 لدى^(١٧) الحق ؛ حين أوجدتهم حقيقة الحق نسبة منه لا الى الواحد لها ؛^(١٨)
 كان ذلك كمال الجهد لديه ، ثم لم يجعل لبلائهم أسامي فيستريحون ؛
 ولا لجهدهم معلوما فيتنعمون ؛ شغل بعضهم عن بعض ؛ وأفرد بعضهم عن
 بعض ، فهم في حضورهم فقد ؛ وفي متعتهم بالمشاهدة كمال الجهد ، لأنه قد
 محى عنهم كل رسم ومعنى يجدونه^(١٩) بهم ؛ ويشهدونه^(٢٠) من حيث هم لما
 استولى عليهم فمحاهاهم وعن صفاتهم أفناهم ، وإنما معنى ذلك أن تؤدى الحقيقة

١٠٩٠/١

من الحق ما يشاء ، كيف أثبت بهم وعليهم وقام عنهم بما لهم وثبت دواعي^(٢١) ذلك عليهم وفيهم من جنس كآله وتماه ، فوجد النعيم من غير جنس النعيم ووجد البلاء في معلوم النعيم ووجد الوجود في غير سبيل الوجود ، باستتار الحق واستيلاء القهر ، فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبى الذى لا تحاسه النفوس ولا تقارنه الحسوس ، ألقت فناها عنها وطرحتهم في مفاوز مهلكات بلواها ، ثم ألقت بعد إلفهم للفناء فناء لأن لا يجدوا طعم معلوم ولا يستريحوا الى موجود ، امتلأ بهم بلا إشارة إلى صفاتهم ، ولا رسوم من رسوم الموصوفات ولا البواعث منه إليها ، وامتحت شواهد في الآثار حين لا يوجد السبيل إلى درك الشفاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى^(٢٢) ، كذلك من في صفته العليا وقوة شاهده بوارد سلطانه ؛ وإنما جرت سنة البلاء على أهل البلاء حين جاذبوا وأقاموا^(٢٣) وثبتوا ولم ينخدعوا ، أقيم عليهم ما محققهم في نفس القوة وعلو المرتبة وشرف المنزلة وسناء النسبة ، ثم أحضرهم الفناء في فنائهم وأشهدهم الوجود في وجودهم ، فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم الوجود في وجودهم (سترأ خفيا وحجابا لطيفا)^(٢٤) أدركوا به عظيم الفقد * وشدة الاستينار ما لا يليق به العلم ولا (تليق)^(٢٥) الآثار بصفته ، فطالبوه فيما كان مطالبهم ، ومانعوه ما كان مانعهم ، وتعرفوا منه ما عرفوه إليهم لا بهم ، حلوا بمحل القوة ، ونالوا حقائق الخطوة ، وتعالوا إلى حقيقة الحضرة ، فأقام عليهم شاهدا منه فيهم ، وأدركوا منه به ما أدركوا ، وأوقف كل واحد منهم عند إدراكه ، وأفرد كل ما انفرد منه تعالى الله عن صفة الخلائق ، وعز أن تشبه به الخلائق علوا كبيرا .

٥٩٠/ب

تم بحمد الله ومنه

الكهوامش

- (١) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
(٢) م : قيموميا . مصححة في الهامش .
(٣) م : دنيائيه .
(٤) م : مأوا .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
(٦) م : كان .
(٧) م : وافرا . أنظر كتاب الفناء .
(٨) م : ظهر .
(٩) م : فناءهم .
(١٠) م : بقاهم .
(١١) م : البادى .
(١٢) م : فناءهم .
(١٣) م : بقاؤهم .
(١٤) كان .
(١٥) م : ملبوسات .
(١٦) م : تبدوا .
(١٧) م : لذا .
(١٨) م : واجده إليه .
(١٩) م : يجدره .
(٢٠) م : يشهدوه .
(٢١) م : رواع .
(٢٢) م : تعالى من الحق .
(٢٣) م : وقالوا .
(٢٤) أضيفت من كتاب الفناء .
(٢٥) أضيفت من كتاب الفناء .

فوالألوكة

* بسم الله الرحمن الرحيم
ومن كلام الجنيد قدس الله روحه

في الألوهية

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى :

اعتزل الحق بهم ، وجُرِّدت الألوهية لهم ، فكان أول وارد الحق بتأدية شواهد إبرازه لهم وإنزاله إليهم في أول الألوهية ، أنزل الأزلية على سرمد الأبد ، في ديمومية البقاء إلى مالميس له غاية ولا منتهى ، ثم أتبع مع ذلك بشاهد منيع العز وطول الفخر وظهور القهر وشاخ العلو وقاهر السطوة وشدة الصولة وعظيم الكبرياء وجليل الجبرياء ، فاعتزل منفردا بذلك وتكبر وتعالى بالعظمة ، فكان الحق بالحق للحق قائما ، وكان الحق بالحق للحكم حاكما ، وتوحد في تفرد جبروته أحداً فردا صمدا ، وهذا أول شاهد لإنزاله من أنزل في غلبة هذا الاسم عليه وأحلّه به لديه ، وتابع مع ذلك ما أمكن في إيجان صونه به له من أسمائه الحسنی ما وقعت إليه الإشارة * ومالم يقع من أسماء الجمع والفرقة على ماشاء من الإبداء والإخفاء ، فمنها ما بدت في شواهدا ، وظهرت في مطالبها ، وعلت في مذهبها ، وسرحت في مساكنها ، وترددت في مراكبها ، ثم تفانت^(١) النعوت بجواز الاحتواء على ماتكيفته الحقيقة فسترتة ، وكمنت فيه فغيبتة ، وطوت عليه فكتمتة ، وتمكنت منه فأثلفتة ، وغلبت عليه فقهرته ، ثم تذهب بواديه^(٢) على الانفصال من غير انفصام ، وعلا بالآلف من غير جنس النظام ، فعلى بظاهره وبظافر أبداه بتمكين أحكامه ، فتصاول عند ذلك الصول ، وتفاخر الفخر ، وتقاهر القهر ، فأين الأين عند ذلك وليس يحين أينه ، وأين ذهاب الأين على دوام أزليته ، وأين مالا أين له ولا أين فيه على تفرد الألوهية ، وهو بعض مالوح الحق به في اسم الجمع ، ثم يجري فيهم ماتوقع منهم به النظر ، في شواهد مالا^(٣) الحق به من هذا نعتة على اسمه المنفرد وعلمه المجرد ، فهذه

(١٦٠٠)

إشارة مالا يقع به الشرح أكثر ، ثم لا ينال فهم ذلك من جنس الإشارة إلا بتقدم الكون فيما تقدم به النعت ، وقد طويت^(٤) ما فيها ولم أفصح به فخذها من حيث لا تنال به إلا به إن أدرك الحق بإدراكك في إدراكك ، ومن بعض ما أوجد الحق في اسم التفرقة أن حبس به إظهار ما ألبسهم وألبسهم إظهار ما به حبسهم ، فكانوا في إبدائه^(٥) شواهد مكنون إخفائه ، فكلما طالعهما بما لاحظهم أرمس مستدرك المكان بكون خفى الكتان ، وهم في شواهد ما يطالعهما به على ترادف ما أطلعهم به عليه ، ثم يطالعهما فيما به يطالعهما ، مطالعات سر المحترز المرتجف عليهم به في إظهار ما كمنه ، وذلك قبل أن يشرف بهم^(٦) على حجاب غريب هذه الصفة ، ثم يبدى^(٧) لهم شواهد البذل ومستعطفات سوابق الأمر ، ويظهر لهم به عند إقباله به عليهم ، وإجلاله^(٨) منزلة لديهم بأنباء كون دوارك الوفاء ، والاحتواء على كل محبوب ومطلوب ومرغوب ، باستتمام كمال المصافاة واتحاد منح الموالة ، ثم يعطف عليهم في قرار أمن ما أحلهم فيه بإشهاد إياهم الغيبية عنهم ، والأخذ بما أقبل به عليهم ، وانتزاع لكل ما آنسهم من منحه وعطف عليهم به من بذله ، وأوقف عليهم لما يريد أن يبلغهم إليه ، ويطلبهم به ، أضداد الشواهد المتقدمة ، فلو رأيتم بعين إشهاد إياهم ، وكون فيما فيه أحلهم ، لرأيت رهائن أشباح أسرى واجتناح جوائب^(٩) أرواح سرى ، قد رهقوا بالحو^(١٠) في ملكوت عزه ، وأرهقوا بفرط ابتلاء الحق لهم بفقده ، مما هم به منه يصرخون ، وبه إليه في غمرات الكرب يضحجون ، قد جمع أنفاسهم في أنفاسهم ، وحبس أرواحهم في أرواحهم ، فهم به عليه يترددون ، ومنه به إليه يتوحدون ، وهذا بعض علم التوحيد مما لوح^(١١) إليه به صفوته .

تم بحمد الله ومنه وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

وكانت نسخة الأصل أعجمية سقيمة

جدا فلتتوقع نسخة صحيحة للمقابلة إن شاء الله تعالى

الكواكب

- | | |
|---------------------------|---------------------|
| (٧) م : يبدأ . | (١) م : تفاقمت . |
| (٨) م : اجلاله . | (٢) م : بوادها . |
| (٩) م : واجتياح جراقب . | (٣) م : لاقا . |
| (١٠) م : بالحو . | (٤) م : طوى . |
| (١١) م : لوج . | (٥) م : ابتدائه . |
| | (٦) م : به . |

فوالفوق يميز الصدق والاختلاس

من كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه ونور ضريحه

في الفرق بين الإخلاص والصدق

٥٢٠ (٦١/ب)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . قال الشيخ الإمام ابو القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه : آنسك الله بقربه ، وجدّد لك في كل وقت من الزيادة في برّه ، وسترك في ظلال جناح رحمته ، وجعل مأواك في جواره^(١) الذي أسكن فيه^(٢) أرواح^(٣) أهل خاصّته ، الذين تولاهم بحياطته ، فلم يلحقهم لاحق ، ولم يقطعهم قاطع ، ولم يشغلهم شاغل ؛ وصلى الله على نبيه وعلى أهل بيته وأصحابه وسلم .

أمّا بعد فإنك سألت عن الفرق بين الإخلاص والصدق .

فمعنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها ، بعد الوفاء منك بما عليك ممّا دلّك العلم عليه ، في اقامة حدود الأحوال في الظاهر ، مع حسن القصد إلى الله عزّ وجلّ في أوّل الفعل .

فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة ، عند بداية الإرادة ، بالقيام بما دُعيت إليه في حقيقة إرادتك ، ممّا طرق الحق لك اليه ، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة ، مع انتصاب العلم لك وموافقتك له ، بخروجك من التأويل .

فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص ، وقد قال الله عزّ وجلّ « لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ »^(٤) ثم سألهم بعد ما أوتوا بالصدق : ما أرادوا بصدقهم ، وقد سمى الله الصادقين في موضع آخر على غير هذا المعنى فقال عزّ وجلّ : « هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ »^(٥) فكان الصدق في الأول علما للخلق وفصلا بينهم وبين الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالّين : حال الاعتقاد والنية ، وحال الفعل والعمل * فالإخلاص في صفة الصادق موجود في العقد

٥٢٠ (٦٢/أ)

غير منسوب الى الصديق الا بوجود (أوائل الإخلاص في باطنه)^(٦) ، وبقا عليه علم موارد الأشياء عند ممارسه الفعل بالجوارح والتخلص لفعله عن عوارض اضداد الإخلاص ، حتى سمى مخلصا .

فأول الإخلاص أن يفرد الله تعالى بالإرادة ، والثاني أن يخلص الفعل من الآفة ، فالصديق الذي هو عند الخلق صديق ، فرق بينه وبين الإخلاص ، والصديق الذي عند الله تعالى هو الصديق مع الاخلاص ، وقد يقال فلان صادق لما يرى عليه من صفات العلم وبذل الجهود منه ، ولا يقال فلان مخلص لغيبه الخلق عن علم إخلاصه ، فالصديق مشهود في صفة الصادق ، والإخلاص معدوم من مشهده ، فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده ، منسوب إلى الصديق بدلائل ظاهره ، مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه ، باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده ، يقبل^(٧) ماوافق الأول من معنى قصده ، ويرد ماخالف علم ظاهره ، فالإخلاص يعلو^(٨) الصديق لوجود زيادة العلم ، مع وجود قوة الرد لما عارض من وسواس العدو ، لوجود صفاء القلب ، ولا يعلو الإخلاص شيء ، لأنه لا غاية في العبودية من حيث العبد فوق الإخلاص ، ولا يقال إخلاص المخلص ، لأنه لا غاية بعد الإخلاص ، وقد قال الله تعالى « ليسأل الصادقين عن صدقهم » ولم يقل ليسأل المخلصين عن إخلاصهم ، لأن غايته من الخلق فيما استعبدهم به ، فالإخلاص^(٩) يعلو الصديق والصدق دونه .

والصديق على ثلاثة أشياء : صادق بلسانه ، وهو القائل بالحق له كان أم عليه بخروجه عن * التأويل والتدليس ، وصادق في فعله ، وهو الباذل للمجهود (٦٢٠/ب) من نفسه بإخراج وجود راحته ، وصادق بقلبه وهو القصد اليه في فعله ، فعند وجود هذه الخصال يكون صادقا ، مع أن الصديق موجود من الصادق في كل حال لا يستغنى عنه في حال من الأحوال . وقد فسرت جملة في أول الكتاب .

فالصدق في التورع والترهد والزهد والتوكل والرضا والمحبة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة ، في صفات المرید والمراد ، والذاكر والمذكور ، وكل ذلك لابد من أن يتولد له شاهد ظاهر يشهد له بالصدق .

ومعنى الإخلاص إفراد النية لله عز وجل وحسن القصد اليه ، بحضور العقل عند موارد الأشياء ، وبيان تلوين الأمور عليه ، بما وافق الأول في معنى صحة قصده ، ورد ماخالف ذلك من موارد النفس والعدو ، مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنة ، مع وجود حسن العزاء عند المذمة من الخلق ، لوجود حسن المعرفة بالفضل ، ووجود الكراهة عند المحمدة ، لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال ، فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معذور عند شاهد الخلق . فالصدق والإخلاص يتفقان في حال المخلص ، وينفرد الصدق بالصادق ، مع أول وجود الإخلاص ، فغاية وصف الموصوفين بالعبودية في الاستبعاد هو الإخلاص ، والصادق في حقيقة صدقه يتولى بالإخلاص ، والمخلص في حقيقة إخلاصه يتولى بالكفاية ، لوجود نفاذ البصيرة ، وذو البصيرة في حقيقة نفاذ بصيرته يتولى بالحياطة من جميع ما يخشى فساده ، ثم وقع الاستيلاء بالتولى بعد ذلك ، فقهر العقل فأفناه عن مقاومة الواجد . فعند وجود حقيقة التولى بالخصوصية ، خرج عن عبادته لله بالنفوسية ، ودخل في عبادته عز وجل بالوحدانية ، فكان ذلك أول وجوده حقيقة توحيد الخصوص ، بذهاب رؤية الأشياء لقيام رؤية الحق . فجرت الأحوال عليه في مجارى صفاتها ، (لمراد مليكه فيها ، بسقوط صفاتها)^(١٠) منها ، فعند وصول العبد إلى هذا ، خرج عن صفة وجود ما يوصف بالعقل ، فصارت عوارض العقل عند وجود حقيقة التوحيد ، وساوس تحتاج الى أن يردّها ، لأن العقل كان قيمّ العبد عند قيام العبد بالعبودية ، من حيث العبد ، فعند وقوع حقائق الملكة من الله عز وجل له ، ذهب العبد في العبودية من غير المعدن^(١١) الأول ، فكان موجودا في الصفة معدوما من المشرب ، فصار عند ذلك موجودا مفقودا .

١/٦٣٠

الكهوامش

- (١) م : جوازه .
(٢) م : فيها .
(٣) م : ازواج .
(٤) سورة الاحزاب : آية ٨ .
(٥) سورة المائدة : آية ١١٩ .
(٦) أضيفت الى المخطوطة فيما بعد .
(٧) في الهامش . والأصل في المخطوطة : يقول .
(٨) م : يعلم .
(٩) م : الاخلاص .
(١٠) اضيفت من الهامش .
(١١) في الهامش . الأصل في المخطوطة : معدن .

فالتوحيد

في التوحيد

أعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفات عنه بالكيف والحيث والأين ، فبه استدلل عليه ، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه ، فتوفيقه وقع التوحيد له ، ومن توحيده وقع التصديق به ، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ، ومن التحقيق جرت المعرفة به ، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا اليه ، ومن الاستجابة له وقع الترقى اليه ، ومن الترقى اليه وقع الاتصال به ، ومن الاتصال به * وقع البيان له ، ومن البيان له وقع عليه الحيرة ، ومن الحيرة ذهب عن البيان ، ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له ، وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له ، ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده ، ويتفقد وجوده صفا وجوده ، وبصفائه غيب عن صفاته ، ومن غيبته حضر بكليته ، فكان موجودا مفقودا ومفقودا موجودا . فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان . ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان ، فهو هو بعد ما لم يكن هو ، فهو موجود موجود بعد ما كان موجودا مفقودا ، لأنه خرج من سكرة الغلبة الى بيان الصحو ، وتردّ عليه المشاهدة لانزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته ، ببقاء آثاره والاقتداء بفعله ، بعد بلوغه غاية ماله منه .

مسألة أخرى

رجل انتصب له العلم بحقيقته ، وانتصبت المطالبة عليه بمحدثها ، وانتصب للعمل بكليته ، فلم يقع الائتلاف بين الصفة والعلم في المطالبة ، فاستدرك عند الاختلاف بينهما مع حضوره وجمعه وانتصابه ، علم مراد الرجوع الى الحق مع الانتصاب والحضور والجمع ، فرجع اليه الصغار والذلة والافتقار والقلة بالسؤال ، بحملان أنقال ما أنتصب عليه من علم الحقيقة ، فكان موجودا عندما انتصب له من العلم الثاني ، بخروج صفته للعمل فيه ، وغير واجد لما

انتصب عليه من حقيقة علم الأول ، لأثقال ما انتصب عليه من شروط أحكامه ، فاستدرك عند اجتماع العلمين بوجود حقيقة الثانی وفقد حقيقة الأول - عَلِمَ وقوع * البلاء بحقيقته ؛ بتجرع كأس المراقبة لإيضاح بقايا صفاته (١٤٠) . وإيضاح خفايا طبعه ، بالخروج الى صفاء الصفة حقيقة التوحيد ، بانحطاط وقوع البلاء ، على حسب ما تقدّم من الموافقة للصفة ، بوجود لذّة الطبع ، فخرج عند ذلك بفناء الصفة من الهوى ، الى وقوع تجريد الحكم على صفاء ، بذهاب الهوى ، فانبسط بالإشارة بالحقيقة الى الحق عند حوادث الأمور وتلوين الأشياء ، بذهاب الوسائط ، بوقوع صفاء الحكم على صفاء الصفة .

مسألة أخرى

الخوف يقبضني . والرجاء يبسطني . والحقيقة تجمعي . والحق يفرقني . فإذا قبضني بالخوف أفناني عني بوجودي ، فصانني عني . وإذا بسطني بالرجاء ردّني عليّ بفقدتي ، فأمرني بحفظي . وإذا جمعي بالحقيقة أحضرني فدعائي . وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطائي عنه . فهو في ذلك كلّ محرّكي غير ممسّكي ، وموحّشي غير مؤنّسي ، بحضوري أذوق^(١) طعم وجودي ، فليته أفناني عني فمتعني . أو غيبي عني فروّحني وللّفناء أشهدني . فنائي بقائي . ومن حقيقة فنائي أفناني عن بقائي وفنائي فكنت عند حقيقة الفناء بغير بقاء ولا فناء ، بفنائي وبقائي لوجود الفناء والبقاء ، لوجود غيري بفنائي .

مسألة أخرى

اعلم أن دليل الخلق برؤية الصدق وبذل المجهود ، لإقامة حدود الأحوال بالتنقل فيها ، لتؤديه حال الى حال ، حتى يؤديه الى حقيقة العبودية في الظاهر ، بترك الاختيار والرضا بفعله ؛ وهذه مواضع * قبول الخلق لدلائل صفات علم الظاهر^(٢) عليه ، واجتماع صفته ، ثم تؤديه حقيقته الى مشاهدة الحق وإدراك

إشارته إليه ، بتلوين الأمور لاختيار اختياره له ؛ وهذه مواضع ذهاب الخلق عنه ، لتلوين صفاته فيهم ، ومواضع تغيبه عنهم ، وهذا مقام الاصطناع ، قال الله عز وجل لموسى عليه السلام « واصطنعتك لنفسى »^(٣) فمن أين وإلى أين ، فمنه وإلى له وبه فنى ، وفنى فناؤه ، لبقاء بقاءه بحقيقة فناؤه ، فإن للحق فيه مراداً ، برده عليهم ، أخرجهم اليهم بتظاهر نعمائه عليه ، فتلاً سناء عطائه برده صفاته عليه لاستجلاب الخلق إليه وإحسانهم عليه .

مسألة أخرى

اعلم أنك محجوب عنك بك ، وأنت لا تصل إليه بك ، ولكنك تصل إليه به ، لأنه لما أبدى إليك رؤية الاتصال به ، دعاك إلى طلب له فطلبته ، فكنت في رؤية الطلب برؤية الطلب والاجتهاد لاستدراك ماتريده بطلبك ، كنت محجوباً ، حتى يرجع الافتقار إليه في الطلب ، فيكون ركنك وعمادك في الطلب بشدة الطلب ، وأداء حقوق ما انتخب^(٤) لك من علم الطلب ، والقيام بشروط ما اشترط عليك فيه ، ورعاية ما استرعاك فيه لنفسك ، حماك عنك ، فيوصلك بفنائك إلى بقاءك لوصولك إلى بغيتك ، فيبقى بقاءه ، وذلك أن توحيد الموحّد باقٍ ببقاء الواحد ، وإن فنى الموحّد ، فحينئذٍ أنت أنت ، إذ كنت بلا أنت ، فبقيت من حيث فنى والفناء ثلاثة :

فناء عن الصفات والأخلاق والطباع ، بقيامك بدلائل * عملك ، ببذل الجهود ومخالفة النفس ، وحبسها بالمكروه عن مرادها . والفناء الثانى فناؤك عن مطالعة حظوظ ، من ذوق الحلاوات واللذات فى الطاعات ، لموافقة مطالبة الحق لك ، لانقطاعك إليه ، ليكون بلا واسطة بينك وبينه . والفناء الثالث فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجهتك بغلبات شاهد الحق عليك ، فأنت حينئذٍ فإن باقٍ ، وموجود محقق لفنائك ، بوجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك .

مسألة أخرى

اعلم أن الناس ثلاثة : طالب قاصد ، ووارد واقف ، أو داخل قائم ، أما الطالب لله عز وجل فإنه قاصد نحوه ، باسترشاد دلائل علم الظاهر ، معامل الله عز وجل بمجد ظاهره ؛ أو وارد للباب واقف عليه ، متبني لمواضع تقريره إياه ، بدلائل تصفية باطنه ، وإدراج الفوائد عليه ، معامل لله عز وجل في باطنه ، أو داخل بهمه ، قائم بين يديه ، منتف عن رؤية ماسواه ؛ ملاحظا لإشارته إليه ، مبادرا فيما يأمره مولاه ، فهذه صفة الموحّد لله عز وجل .

مسألة أخرى

اعلم أن التوحيد في الخلق على أربعة أوجه : فوجه منها توحيد العوالم ، ووجه منها توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر ، ووجهان منها توحيد الخواص من أهل المعرفة ؛ فأما توحيد العوالم فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأضداد^(٥) والأشكال والأشباه ، والسكون إلى معارضات الرغبة والرغبة ممن^(٦) سواه . فإن له حقيقة التحقيق في الأفعال^(٧) ببقاء الإقرار . وأما توحيد حقائق علم الظاهر فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأشكال والأشباه ، مع إقامة الأمر والانتفاء عن النهي* في الظاهر ،^(٨) مستخرجة ذلك منهم من عيون الرغبة والرغبة والأمل والطمع ، إقامة حقيقة التحقيق في الأفعال لقيام حقيقة التصديق بالإقرار . وأما الوجه الأول من توحيد الخاص فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية هذه الأشياء مع إقامة الأمر في الظاهر والباطن بإزالة^(٩) معارضات الرغبة والرغبة ممن سواه ، مستخرجة ذلك من عيون الموافقة بقيام شاهد الحق معه^(٩) مع قيام شاهد الدعوة والاستجابة . والوجه الثاني من توحيد الخاص ، فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث ، تجري عليه تصارييف تديره ، في مجارى أحكام قدرته ، في لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الحق له ، وعن استجابته له ، بحقائق وجود وحدانيته في

حقيقة قربهِ ، بذهاب حسّه وحرّكاته ، لقيام الحقّ له فيما أراده منه ، والعلم في ذلك أنّه رجع آخر العبد الى أوّله ، أن يكون كما كان إذ كان قبل أن يكون ، والدليل في ذلك قول الله عزّ وجلّ « وإذ أخذ ربّك من بنى آدم من ظهورهم ذريّاتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى »^(١٠) فمن كان وكيف كان قبل أن يكون ، وهل أجابت الآالأرواح الطاهرة العذبة المقدسة ، بإقامة القدرة النافذة والمشيئة التامة ، الآن كان إذ كان قبل أن يكون ؛ وهذا غاية حقيقة توحيد الموجدّ للواحد بذهب هو .

آخر مسألة التوحيد من كلامه رضى الله عنه

سئل الجنيد رحمه الله إلى أين تنتهى عبادة أهل المعرفة بالله عزّ وجلّ ، فقال : الى الظفر بنفوسهم ، نصب الحقّ لهم أعمال أدلّة العَمال ، فوقفوا مع ماله دون التعرّيج على ما لهم ، فشوّق اليهم الأنبياء* ، وانتسب^(١١) بهم للأولياء ، وسبّحت لهم الملائكة ، فتركوا ما لهم ووقفوا مع ما لله عزّ وجلّ عليهم ، وسائر الناس وقفوا مع ما لهم وتركوا ما لله عزّ وجلّ عليهم^(١٢) فرد الله عزّ وجلّ كلّاً الى قيمته .

الكواشر

- (١) م : لدوق .
- (٢) م : الظاهرة .
- (٣) م : سورة طه : آية ٤١ .
- (٤) م : انتخاب .
- (٥) م : واضداد .
- (٦) م : مم .
- (٧) م : والأفعال .
- (٨) م : بانزاله .
- (٩) م : « القيام شاهد الحق معه مع قيام شاهد الحق معه » .
- (١٠) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
- (١١) م : والنسب .
- (١٢) في الهامش .

أدب المفتقر إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب المفتقر إلى الله

وسئل الشيخ أبو القاسم رحمه الله عن أدب المفتقر إلى الله عز وجل فقال :
أن ترضى عن الله عز وجل في جميع الحالات ، ولا تسأل أحدا سوى الله تعالى .
وسئل عن خاطر الخير هل هو شيء واحد أو أكثر ؟ فقال : قد يقع خاطر
الداعي للطاعة على ثلاثة أوجه : خاطر شيطاني باعته وسوسة الشيطان^(١) ،
وخاطر نفساني باعته الشهوة وطلب الراحة ، وخاطر رباني وباعته التوفيق .
وتشبه هذه الخواطر في الدعاء إلى الطاعة ، ولا بد من تمييزها لأعمال الصواب
منها ، لقوله عليه السلام (من فُتِح له باب من الخير فلينتهزه) ولا بد من رد
الآخرين .

أما الشيطاني فبقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ »^(٢) .

والشهوائي الذي هو خاطر النفس بقوله ﷺ « حَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » ،
ولكل واحد من هذه الخواطر علامة يتميز بها عن صاحبه .

أما الخاطر النفساني فباعته الشهوة وطلب الراحة ، والشهوة تنقسم إلى
نفسانية كمحبة العلو والجاه والتشفي عند الغيظ وإصغار المعاند وأمثال ذلك ،
وإلى جسمانية كالطعام والشراب والنكاح واللباس والنزه وأمثال ذلك ،
وللنفس احتياج إلى هذه الملاذ بحسب بعدها عن كل واحد منها وشدة توقانها
إلى كل جنس تجانس منها ، فلخاطر النفس منها علامتان قائمتان مقام شاهد
عدل على تمييز الخاطر المختص بها : أحدهما حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى
بعض هذه الأشياء المشتبهات مثل حضور التزويج عند شدة حاجتها إلى النكاح
وتلبيسها ذلك عليه بأن قصدها أعمال قوله ﷺ : * « تنكاحوا تناسلوا فإنني

(١/٦٧) .

مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » ، وتجنب قوله ﷺ « لا رهبانية في الاسلام » ،
ومثله في الطعام عند شدة حاجتها إليه ، وربما لبست عليك هذا بدعائك إلى ترك
الصيام أو تناول بعض المشتبهات ، بأن تقول إن في سرد الصيام إضعاف النفس
عن الأمر المحتاج إليه في الطاعات ، (وأن) في ترك تناول هذا الطعام المشتبه
ماكسر قلب المسلم إذا دعى إليه الصديق ، (أو) قلب العيال إذا كان مما جلبته
إنت لعيالك . وربما خدعتك بلون آخر بأن تقول لك اكسر هذه الشهوة
بتناولها هذه الكره لئلا يلج عليك هذا الخاطر فيشوش عليك عبادتك وأمثال
ذلك في سائر الشبهات^(٣) ، كل هذا من تلييسها وتدليسها . ومثله عندما
تكدها بالعبادة وتلزمها على الكراهية الطاعة ، فتختار لك نهى النبي ﷺ عن
التبطل وعن اتعاب النفس مثل قوله عليه السلام « اكلفوا من العمل ماتطيقون »
ومثل قوله عليه السلام « إن المُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظهراً أَبْقَى » ، بل ربما
دعتك عند إكثارك إتعابها ومنعها شهواتها إلى ما فيه إهلاكها رأساً أو منعها من
تصرفاتها ، فتحملك إلى ما يؤدي إلى القتل أو السجن وأمثال ذلك ، لما يتخيل
في هاتين الحالتين من الراحة وزوال التعب عنها . فأحد الشاهدين في هذا الباب
أن يكون قد تقدم لها الكد والإتعاب عند طلبها الراحة وتقدم لها الحاجة إلى
الشيء المشتبه عند باعث الشهوة ، فيعتبرها بهذين الحالين ، فإن كان قد تقدم
أحد هاتين الحالتين ، علمت أن الخاطر من النفس ، وحاجتها إلى ذلك هو الذي
حركها إلى الدعاء اليه ، ومجموع ذلك أن يكون الخاطر شهوانياً ، أو لطلب
الراحة ، فالغالب على هذا الخاطر أنه من النفس ، والشاهد الثاني إلحاح بهذا
الخطير* وعدم انقطاعه ، حتى يأتي مواليا كلما جاهدت في دفعه عن نفسك
ألحَّ عليك ولج ، ولا ينفع فيه الاستعانة ولا التخويف ولا التحذير
ولا الترغيب ، بل هو ملح دائم الإلحاح ، فهذا من أكبر الدلائل على أنه من
النفس ، إذ هي كالصبي متى منع من الشيء ازداد لجاجا في طلبه ، فهاتان
الحالتان شاهداً عدل متى اجتماعاً لا تشك في أن الخاطر من النفس . ومداواتها

(٣/٦٧).

عند هذه القضية بالمخالفة المحضة والاعتاب الشديد ، فتمنعها الراحة عندما يكون الباعث للخاطر كثرة الكد والإتعب بالعبادة ، أو بوصف وضعه أثقل ، ليكون ذلك أقمع لها من التحريك لمثل هذا الخاطر ، وإن كان شهوانيا جعل دواؤه الحرمان للشيء الذى طلبته ، أو تمنع من مشتبه آخر لها ، ليكون ذلك أمتع لها . وأما الخاطر الشيطاني فله أيضا علامتان : أحدهما تنبيهه ببعض ماتحتاج النفس إليه بداعى الشهوة أو داعى الراحة فى الأوقات المألوف^(٤) ، تحصيل النفس مطلوباتها فيها^(٥) ، والفرق بينه وبين النفساني فى هذا الباب أن النفساني يلح ولا يذهب ، وهذا يذهب تارة ويكر ، فكل ما لهى الإنسان عنه بسبب فتور النفس ألح عليها بالتذكير للشهوة ، وتكون حركة النفس عند هذا التذكير أكثر من الخاطر النفساني إذ الخاطر النفساني إنما خطر لشدة الحاجة ، والثانى أن هذا الخاطر الشيطاني يتدنى ويطرأ على عقله ، والخاطر النفساني متصل ، متحرك للطبع نحو الشهوة أو الراحة ، وذلك أن وسوسة الشيطان إنما هى تجرى مجرى مخاطبة الإنسان للإنسان ، غير أن الفرق بين هذا وذاك ألا يراه ، والإنسان يحرك قلبك من جهة حاسة* الأذن عند الخطاب ، أو التصويت والبصر عند الإشارة ، والحس عند الغمز ، والشيطان يحرك ذلك من الوسوسة وغمز القلب والخطور فيه ، وهو لا يعلم المغيب ، وإنما يأتى إلى النفس من جهة الأخلاق التى ألّف انفعالها له ؛ فهذا الفرق بين النفساني والشيطاني . أما الخاطر الرباني فإنه يستدل عليه بشاهدين أيضا : أحدهما وهو المقدم موافقة الشرع للخاطر وشهادته بصحته ، والثانى فتور النفس عن قبوله ابتداء ، حتى يحصل لها نوع الترغيب ، وهو الهجوم على النفس من غير مقدمات له كالشيطاني ، إلا أن سرعة النفس لموافقة الخاطر الشيطاني أكثر ، وهى له أبدر ، وهى عن هذا أكسل ، إذ الشيطان إنما يحييها^(٦) من شهواتها وراحاتها ، وهذا يأتى من جهة التكليف ، وتفرقة من التكليف عن وروده عليها ، فهذا الفرق بين هذا (وبين)^(٧) الخاطر الشيطاني والخاطر النفساني ، فإذا خطر لك فزنه بهذه الموازين الثلاث ، واستشهد فى كل فصل منه بالشواهد التى أشرنا لك فتميز

١/٩٨٠

لك الخواطر فاصنع فى الشيطانى والنفسانى ماكننا ذكرناه لك فى المدافعة^(٨) الحاسمة لهما وبادر لهذا الخاطر الربانى ، ودع التشاغل والتضييع فإن الوقت ضيق والحال يتحول^(٩) ، وإياك وتسويل النفس ووسواس الشيطان ، فإن هذا الباب من أبواب الخير قد انفتح لك فارحبه حتى تستأنفه^(١٠) من أوله ، ومثاله أن يكون قد خطر الخاطر فى صيام بعض شهر قد حث الشرع على صيامه ، أو قيام بعض ليلة ، فتقول دع هذا حتى استكمل الليل بأوله أو الشهر بتمامه ، وإنما ذلك مخادعة ليسد باب التوفيق الجزى^(١١) ، فإن هذه الخواطر لا تدوم ، وإنما هى سريعة الاستحالة ، والمبادرة لإمساك الخاطر الربانى * مأمور الشرع ، وفيه فائدتان : أحدهما أن يكون وقت أكمل من وقت ، كنعو الأوقات التى ورد الخبر عن مسامحة الله عز وجل وتنزل الرحمة والغفران ، ونظرات الحق سبحانه وتعالى إلى الخلق لا تحصى . والأخرى إيلاف النفس للمبادرة لامتنال الأوامر والطاعات عندما ترجى بركة العمل ، وفيه إزالة حال التكاسل لها ، وذلك للتعرض لنفحات رحمة الله تعالى ، وهذا فى رياضة النفس على المبادرة الى امتثال الأوامر مفيد أيضا ، والله أعلم وأحكم .

٢٠٨/٤

آخر أدب الفقر من كلام الشيخ أبى القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

الكوامش

- (١) م : للشيطان .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(٣) م : المشهيات . صححت في الهامش .
(٤) م : المؤلفات .
(٥) م : فيه .
(٦) م : يجيها .
(٧) م : محذوفة .
(٨) م : المداومة .
(٩) م : تحول .
(١٠) م : « له فارتجحه حتى اسابقه » .
(١١) م : المحرى .

کتاب دواء التفویک

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب دواء التفريط

قال الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله :

خصك الله لطاعته ، وهياًك لموافقتك ، وجعلك من أهل ولايته ، وانتخبك لمحبتك ، وأسرع بك إليه ، وأوقفك على علم مراده ، واستعملك بعلم ما أراك له ، وعودك الإصغاء إلى استنباط الفهم عنه ، وحال بينك وبين العوارض القاطعة والعلائق المانعة ، وجعل أقوالك لديه مرضية وعنده زاكية ، وكفاك مؤونة كل شاغل عنه ، وهياًك لخدمته ، وروحك بتفويض الأمر إليه ، وحال بينك وبين كل ممتنع عليك في الطريق * المسلوك إليه ، وجعل لك على كل هم لا يسعدك في طلب ما يرضيه من لدنه سلطاناً نصيراً ، إنه ولي الإنعام وكافي المهمات .^(١) (١١٠)د/

وينبغي^(٢) للعاقل ألا ينفقد^(٣) من إحدى ثلاث مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أمترأيد^(٤) أم منتقص ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه من إلزامها مايلزمها ، (ويتقصى فيه على معرفتها)^(٥) وموطن يستحضر عقله برؤيته التدبير ، وكيف تختلف به^(٦) الأحكام ، في آناء الليل وأطراف النهار ، ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الآخر^(٧) إلا بإحكام مايجب عليه من إصلاح الحالين الأولين . فأما المواطن الذي ينبغي (له)^(٨) أن يعرف فيه حاله أمترأيد^(٩) هو أم منتقص ، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه « شاغل »^(١٠) ، فيفسد عليه مايريد إصلاحه ، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض^(١١) الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض . ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي ربه^(١٢) ، يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته ، فحينئذ ينكشف^(١٣) له (من)^(١٤) خفايا النفوس الموارية . فيعلم أهو من أدى ماوجب عليه أم لم يؤدي ، (ثم)^(١٥) لا يبرح^(١٦) من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم برهان^(١٧) مااستكشفه بالعلم ، فإن رأى خللاً أقام على إصلاحه ولم

يجاوزه^(١٨) إلى عمل سواه ، وهذه أحوال أهل الصدق في هذا الحل « وآله يؤيد
 بنصره من يشاء إن الله لقوى عزيز » . وأما الموطن الذى يخلو فيه بتأديب نفسه
 ويتقصى فيه حال^(١٩) معرفتها ، فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة فى
 المعاملة ، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء ، لا يقف على حد ذلك إلا من
 بصر^(٢٠) ، ماهنالك فى حيز حركة الهوى فى محبة فعل الخير المألوف ، فإن
 النفوس^(٢١) إذا ألفت فعل الخير صار خلقا من أخلاقها ، وسكنت إلى أنه^(٢٢)
 موضع لما أهلت له ،^(٢٣) وارتدت به^(٢٤) وترى أن الذى جرى عليها من فعل
 ذلك الخير فيها هى له أهل ، ويرصدها العدو المقيم بفنائها والمجول له السبيل
 على * مجارى الدم فيها ، فيرى هو بقوة كيده^(٢٥) خفية غفلتها ، فيختلس بممايلة
 الهوى^(٢٦) مالا يمكنه الوصول إلى اختلاسه فى غير تلك الحال ، فإن تألم لوكرته
 منه وعرف نفسه^(٢٧) أسرع بالإلانة^(٢٨) إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به ،
 فاستقصى من نفسه علم الحالة^(٢٩) التى منها وصل عدوه إليه ، فحرسها بلياذة
 اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام ، كما قال الكريم بن الكريم
 بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام^(٣٠) « وإلا تصرف عني
 كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين »^(٣١) وعلم يوسف أن كيد * الأعداء
 مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس^(٣٢) « فاستجاب له ربه فصرف عنه
 كيدهن إنه هو السميع العليم »^(٣٣) .

وأما الموطن الذى يستحضر فيه عقله لرؤية مجارى الأحكام وكيف يقبله
 التدبير ، فهو أفضل^(٣٤) الأماكن وأعلى المواطن فإن الله أمر جميع خلقه أن
 يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته فقال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا
 ليعبدون »^(٣٥) فألزمهم دوام العبادة^(٣٦) ، وضمن لهم عليها فى العاجل الكفاية ،
 وفى الآجل^(٣٧) جزيل الثواب فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اركعوا
 واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »^(٣٨) وهذه كلها عبادة
 تلزم كل الخلق ، ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام ، فقد^(٣٩) عرض لرفع

العلم والمعرفة ، ألا تعلم^(٤٠) أنه قال تعالى « كل يوم هو في شأن »^(٤١) يعنى شأن الخلق ، وأنت (أيها)^(٤٢) الواقف^(٤٣) لترى أنك^(٤٤) من الخلق الذى هو في شأنهم ، أفترى^(٤٥) شأنك^(٤٦) مرضيا عنده ، ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا ومافيها (عنده)^(٤٧) وخروجها من قبله ، فإذا انقضت الدنيا وبادت وباد أهلها وانصرفت* عن القلب ، خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام ، ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع مما^(٤٨) في هذه (الدار)^(٤٩) التى عنها خرج ، ولها ترك ، ومنها هرب ، ألا ترى إلى حارثة حين يقول : عزفت نفسى عن الدنيا ثم يقول : وكأنى أنظر إلى عرش رى بارزا ، وكأنى بأهل الجنة يتزاورون وكأنى (وكأنى)^(٥٠) ، وهذه بعض أحوال القوم^(٥١) ، فاحرص يا أخى على العمل فى نجاة نفسك وخلاصها وعتقها من رق مذلة الهوى والانقياد إلى مسامرة أهل الدنيا ، فكل نفس ذاقت من سهو الغفلة قطرة إلا* أورثها ذلك قسوة أسكرت العقل وأذهلت المعرفة ، وجعلت للفتنة مدخلا خفيفا ، فمن رفع ستر الآفات انكشف له ستر الانطواء ، ولم يتروح نسيم لذة المعاملة ، ولقد فاز قوم نظر إليهم وليهم فدلهم على مختصر الطريق ، وأوقفهم على محجة النجاة ، وألاح لهم خفى فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناقشة عند فهم الخطاب ، إذ يقول عز وجل « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »^(٥٢) فهضبت العقول مستحثة للجوارح بحسن التوجه لإقامة* مابه يحظون عند من استجابوا لدعوته ، وقرت العيون بما أورد على قلوبهم من السرور بالخلوة ، به خلا بين أناس أكياس لا يرهبون فى الطريق إليه غيره ، ولا يتوسلون إليه إلا به ، ولا يسألونه شيئا غير إدامة التمتع بخدمته ، وحسن المعونة على موافقته ، قد أيست منهم الاعداء ، وأماتت عنهم الخشية الهوى ، وأقرت بهم عيون الأحبا ، لا يرون نايلا هو أعظم مما نالوا ، ولا يبتغون بما أنعم عليهم بدلا ، ولا يريدون عنه حولا ، صفاهم العلم ، وأدبتهم المعاملة وأعزهم

١١٦. *الانقطاع إلى الله تعالى ، وأغناهم عن سواه . هم طلبة الله وطلابه ، ومحبو الله وأحباؤه ، هاموا شوقا إلى رؤيتهم ، وحسرة على مفارقتهم وسروا بمحادثتهم ؛ أرادهم الله فأرادوه ، وطلبوا الله فوجدوه ؛ فمن أراد النجاة فليتعجل روح الحياة ، بطلب الوصول إلى مناه ، فإن الله منية الأولياء ، وبغية العقلاء ، وطلبة الأصفياء ؛ ولولاه ما هتدوا إليه ، ومن ذكرهم دلهم عليه ، لم يتعسفهم فيما ألزمهم ، ولم يحملهم ما لا يطيقونه ، ولم يخلهم ونفوسهم ، ولم يؤاخذهم بتقصيرهم ، بل أنعم عليهم * بجميل قبول العذر في حين القبول (٥٣) ،
١١٧. وتجاوز لهم عما عجزت عنه أبدانهم ، وأوقفهم على جميل الصحبة ، وكثرة الأيادي بالحفظ بالأثم السابقة بحسن الثقل ، وخلاصهم من العذاب الويل ، ودلهم على سبيل الشكر المرضي عنده ، وألف بينهم وبين النظراء من الأشباه والأشكال ، وصان قلبهم وأبصارهم وأسماعهم عن الدنو إلى الخناء ، واتقوا من محادثة شيء منها ، مما يفنى ، وهانت عليهم مصائب الدنيا ، وألفوا ما اختار لهم ولهم ، قربانهم التقديس والتسبيح والتجميل والتهيل وراحتهم وقرعة عيونهم في مناجاتهم ، فما يصدون عند لقائه في معادهم ، وإنما قطع الخلق عن الله عز وجل اتباعهم الأهواء ، وطاعتهم الأعداء ، ومحادثتهم لزهرة الحياة الدنيا ، وإيثارهم ما يفنى على ما يبقى . فبادر يا أخى إلى إصلاح ماضى من العمر وماضى من السهو والغفلة والتفريط والتواني ، لحفظ ما بقى عليك منه بالانزعاج والخوف والجد والحذر قبل أوان الوقت ، ونزول الموت ، فإنه لا يرضى عن بقى إلا بمثل العمل الذى به رضى عن سلف ، فاسع فى فكاك الرق بترك * ملابسة العلايق الشاغلة ، فإن الله يوما يبرز فيه الخبايا ، وتبدو فيه الأعمال ، يوم لا يثق فيه شهيد ولا صديق بعمله ، ولا يرجو فيه أحد إلا التجاوز والعفو من ربه ، يوم تكثر فيه الندامة ، وتقوى فيه الملامة ، فالآن مادام العذر مقبولا والوقت مبسوطا ، والعمل ممدودا ، والتوبة مقبولة ، والذنب تمحوه الإنابة ، والندم والقول فيه مسموعا ، والخير فيه متبوعا . والحق بيننا ،

والطريق واضحاً ، والحجة لازمة فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وآثار
 مشيئة الهداية بينة عند أهل الهدى فمن علامة من * نعتة ، سهولة الطاعة ومحبة
 الموافقة ، ورؤية النفس بعين العجز والانقطاع عن القيام بالواجب أو الموالاة
 والمؤاخاة والمصافاة والمحبة والمواساة والإيثار على النفوس لأهل القرب والمواصلة
 في ذات الله عز وجل ، والمعاونة لأهل الولاية ، والذب عن حريم الحق ،
 والتراضى بالصبر على ماتقدم من الأمر ، والاستخفاف وخفة المؤن ، والتعلل
 والتجري والتحرى ، ومدافعة الأوقات ، والوقوف على حد الأمر في إدخال
 السرور عليهم . ومخالطتهم ومجالستهم ، وترك الترفع عليهم ، فيهم أوصى الله
 تعالى لنبيه ﷺ فقال « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . (٥٤)
 جعلنا الله وإياكم ممن عرف حق الله فاستعمله ، واشتغل به ولم يشتغل عنه ،
 وحفظ علينا وعليك ما استرعانا ، وأحسن معونتنا وإياك على أداء الشكر ودوام
 الذكر ، إنه ولى الإحسان وموعد العبيد الجنان وواعدهم بالنيران .
 تم الكتاب بحمد لله ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الكوامش

- (١) زيادة ليست موجودة في حلية الأولياء . (٣٠) ح كما قال النبي ابن النبي ابن النبي الكريم
ابن الكريم ابن الكريم كذا قال النبي ﷺ
» الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل
الرحمن عليهم السلام .
- (٢) ح ينبغي .
- (٣) ح يفقد .
- (٤) ح أمزاد .
- (٥) زيادة في ح .
- (٦) ح تقلب فيه .
- (٧) ح الأخير .
- (٨) زيادة في ح .
- (٩) ح أمزاد .
- (١٠) ح مشغل .
- (١١) ح الفرص .
- (١٢) ح سيده .
- (١٣) ح تكشف .
- (١٤) « من » ليست في ح .
- (١٥) « ثم » ليست في الأصل .
- (١٦) في الأصل يتجاوز .
- (١٧) ح بيهان .
- (١٨) يتجاوز في الأصل .
- (١٩) في الأصل « من » بدلا من حال .
- (٢٠) ح تصفح .
- (٢١) ح النفس .
- (٢٢) ح أنها .
- (٢٣) الأصل لها .
- (٢٤) كذا بالأصل .
- (٢٥) ح هو بكيدة .
- (٢٦) ح فيحتلس منها بمسائلة .
- (٢٧) في الأصل فإن المرء لو عرف .
- (٢٨) ح بالأمانة .
- (٢٩) الحال .
- (٣١) سورة يوسف آية ٣٣ .
- (٣٢) الأصل بقوى .
- (٣٣) سورة يوسف آية ٣٤ .
- (٣٤) الأصلي أعز .
- (٣٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .
- (٣٦) ح عبادته .
- (٣٧) ح الأخرى .
- (٣٨) سورة الحج آية ٧٧ .
- (٣٩) ح وقد .
- (٤٠) ح يعلم .
- (٤١) سورة الرحمن آية ٢٩ .
- (٤٢) زيادة من ح .
- (٤٣) اترى .
- (٤٤) زيادة من ح .
- (٤٥) ح أو ترى .
- (٤٦) الأصل سائلا .
- (٤٧) زيادة من ح .
- (٤٨) ح بما .
- (٤٩) زيادة في الأصل .
- (٥٠) زيادة في ح .
- (٥١) هذا آخر ما جاء من الرسالة في حلية الأولياء .
- (٥٢) سورة آل عمران آية ١٣٣ .
- (٥٣) في الأصل : القبور .
- (٥٤) سورة الكهف : آية ٢٨ .

9

